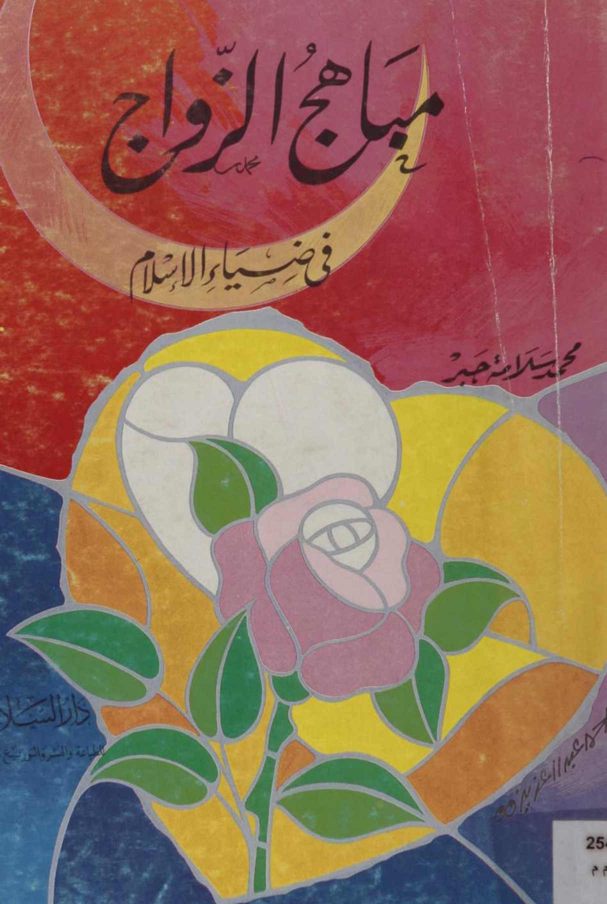

مباهج الزّواج
في ضياء الإسلام
محمد سلامة جبر
دار السلا
للطباعة والنشر والتوزيع

مباهج الزواج

في ضياء الإسلام

محمد سلامة جبر

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

١٢٠ شارع الأزهر ت ٩٣٢٨٢٠ - ٢٦٣١٥٧٨
ص.ب ١٦١ الغورية فاكس ٢٦٢١٧٥٠

الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته ..

وأعاننا برحمته على طاعته ..

ورفع عنا العسر والحرج في شرعته ..

وخلق لنا من أنفسنا أزواجًا لنسكن إليها وجعل بيننا مودة ورحمة من فيض رحمته ..

وجعل نعيم الزواج وملذاته مشوقًا لنا لما أعدَّ من النعيم في جنته ..

• • •

وأشهد أن لا إله إلا الله المتصف بالوحدانية ، المتفرد بالأحدية ، المنزه عن الضد والمثلية ، فهو سبحانه الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد .

• • •

وأصلّي وأسلّم على خير الأزواج وخير الناس ، الذي أرسله الله رحمة للناس ، وأقام به الشريعة السمحة على أمتن أساس ، وأعلى من شأن الزواج حتى جعله عونًا على نصف الدين تحقيقًا للأنس والإيناس وعمارة للأرض بالذرية وصلاحًا للناس .

• • •

أما بعد :

فإن الزوجية حقيقة كونية سارية في كل موجود ، ولم يتنزه عنها إلا الله الواحد المعبود ، فإنها وإن لم يتم كال المخلوقات إلا بها على التحقيق ، تعد نقيصة عند النظر الدقيق ، لأنها تنطوي على الحاجة والافتقار ، والله هو الغني الواحد القهار .

وما يعد من صفات الكمال في حق رب العباد ، قد يكون نقصًا في حق العباد ، فحاجة العبد وافتقاره إلى الله من لوازم عبوديته ، وغنى الرب تعالى وكبرياؤه وافتقار الكل إليه من خصائص ربوبيته .

ومن مظاهر افتقار العبد حاجته إلى الزوج ليتم بالازدواج كماله ، وتظهر به حقيقته ، وتطمئن به سريرته ، وإلا كان في الحياة كالتائه ضل في البيداء ، أو كالحائر المتخبط في الظلماء ، ولهذا كان كثير من الأنبياء أكثر الناس أزواجًا ، ليعلم الناس أن الزواج صفة الكمال ، والترهب نقص وخبال ، إلا ما كان من عيسى ويحي عليهما السلام ، فإن إمساكهما عن الزواج كان لسر دق على الأفهام .

وإن من أدرك ما في الزواج من وسائل تحصيل الكمال ، فقد فتح له باب من أبواب الحكمة وحقائق الإيمان ، عندئذ يدرك سر تعدد زوجات النبي ﷺ ، وينكشف له معنى قوله في الحديث الصحيح :

« حُبِّبَ إليَّ من دنياكم : الطيب ، والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة » رواه الإمام أحمد والنسائي والحاكم .

● ● ●

وإنني ـ بعون الله ـ مبين هنا بعض ما خفي ودق من مسائل الحياة الزوجية مستيضئًا بضياء الإسلام ، مما سئلت عنه كثيرًا وتعذر الجواب

للسائلين على صفحات « ضياء الإسلام » في مجلة اليقظة ، لأنها تقع في أيدي من لم يبلغوا درجة الإدراك الذي يؤهلهم للاطلاع على أسرار الحياة الزوجية وخفاياها ، فآثرت حصر تلك المسائل في كتيب صغير يسهل تناوله وفهمه إن شاء الله .

وقد يلومني بعضهم على تصنيف هذا الكتاب ، وكشف المخبوء من الأسرار .

والحق أن أكثر فتياننا وفتياتنا يعرفون من خفايا الزواج الشيء الكثير ، ولكن .. وللأسف ، من مصادر غير أمينة ولا وثيقة ، وهذا يعني أن يبدأوا حياتهم الزوجية بداية خاطئة ، يترتب عليها مشكلات قد تودي بالحياة الزوجية .

ونحن إذا لم نصرح للشباب بالاطلاع على الحقائق العلمية والشرعية المتعلقة بأسرار الزواج نكون كالنعامة التي تدفن رأسها بالتراب حتى لا يراها الصياد بظنها !!

وأنا ـ والحمد لله ـ أب لخمسة أولاد وبنتين ، وما أحبه لأبنائي وبناتي أحبه لسائر الفتيان والفتيات من المعرفة الصحيحة النافعة إن شاء الله .

والمستعان الله

محمد سلامة جبر
كويت ـ السالمية
ص.ب : ٨١٠٢ رمز بريدي 22052
ت / ٥٧٣٧٧١٠

من أسرار الحب

الحب هو الرابط الوثيق بين الكائنات الحية وغير الحية ، وهذا إذا سلمنا أن هناك كائنات غير حية ، فالصحيح أن الحياة ساريةٌ في كافة المخلوقات كثيفها ولطيفها ، لا أشك في ذلك البتة .

وكون الحب رابطًا بين الكائنات الحية واضح لا يحتاج إلى برهان ، وإنما الغموض في ربطه بين الكائنات المادية عامة ، وتوضيح ذلك بما يلي :

من المعلوم أن صفة « الازدواج » لاصقة بكل موجود سوى الواحد المعبود سبحانه ، ولا كينونه لشيء أبدًا إلا إذا لازمه التزواج الفعلي أو الحكمي ، وأعني بالتزواج الحكمي مجرد تحقق نوعي الجنس الواحد ولو لم يكن بينهما لقاء ، فقد يحيا ذكر ما من جنس ما ويموت دون أن يلتقي بأنثى من جنسه ، وهذا لا ينفي تحقق معنى الزوجية فيه .

ويدل لعموم الازدواج في كل الكائنات قوله سبحانه :

﴿ سُبْحَـٰنَ الَّـذِي خَلَـقَ الأَزْوَٰجَ كُلَّهَـا مِمَّـا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة يونس : ٣٦) .

وقوله كذلك :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة الذاريات : ٤٩) .

قلت : وهذا صريح في سريان صفة الازدواج في الكون كله ، علويه وسفليه ، كثيفه ولطيفه ، وإنما تنزه عن ذلك الباري سبحانه .

وقد تبين اليوم لكل ذي بصر أن الكون كله ذو طبيعة واحدة ، وإنما تختلف الأشياء باختلاف تركيبها الذري .

فإذا تبين ذلك ، فإن الرابط بين نواة الذرة وما يدور حولها من

الألكترونات ، إنما هو الحب المنبثق عن صفة الازدواج ، ولولا ذلك الرابط لتفكك الكون واضمحل ولم يكن لوجوده وجود .

وإذا كان الحب هو الرابط بين أجزاء الذرة الواحدة ، فإنه الرابط كذلك بين الذرات المتعددة حتى تبلغ من الكثرة أن ينشأ عنها ـ بخلق الله وحده ـ الشمس والقمر والنجوم وسائر ما في العالم العلوي من عوالم .

ويطلق علماء العصر على السر الرابط بين الذرات إلى المجرات اسم « الجاذبية » وهي تسمية صحيحة ، فإن الحب أقوى ما يجذب بين متحابين على الإطلاق ، بل هو الجاذب الوحيد والمحرك الفريد لكل ما في الكون المديد مما خلق الله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد .

وليس الحب مقصورًا على المخلوقات وحدها ، بل جاءت النصوص صريحة في حب الله عباده الصالحين وحبهم له ، وهذا كما قال تعالى :

﴿ قُلْ إن كُنتُم تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ (آل عمران : ٣١) .

وقد خلق الكون كله من أجل إيجاد الإنسان الخليفة ، والإنسان الخليفة هو الذي يحبه الله ، لأنه خليفة عنه في إقامة شرعه وتنفيذ أحكامه ، وحين خلق الله الإنسان الخليفة جعل منه النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ولتحقق ضرورة الازدواج التي تقدم ذكرها جعل الله في مقابلة أولئك مردة طغاة بغاة من الإنس والجن ، ومن ثمرة ذلك التزاوج أن يبتلي الله عباده فيعلم شهودًا ـ سبحانه ـ ما علمه غيبًا .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ شَيَاطِينَ الإنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴾ (سورة الأنعام : ١١٢ ، ١١٣) .

﴿ إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَٰفِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَٰهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّٰبِرِينَ * وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (سورة آل عمران : ١٤٠ ـ ١٤٣) .

قلت : ولله حكمة قد تدق على الأفهام وتخفى حتى عن الأئمة الأعلام ، فسلم تسلم ، فإن ربك عليم حكيم .

وقد تكلم ابن القيم رحمه الله في كتابه « روضة المحبين » وبين طرفاً من معاني حب الله لعباده وحبهم له فقال :

قالت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ : **« ما أرى ربك إلاّ يسارع في هواك »** متفق عليه ، وقال له عمه أبو طالب : ياابن أخي ما أرى ربك إلاّ يطيعك ، فقال له : **« وأنت ياعم لو أطعته أطاعك »** . (الإصابة) وفي تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله عز وجلّ : ﴿ وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴾ (سورة النساء : ١٢٥) . قال : حبيبًا قريبًا إذا سأله أعطاه ، وإذا دعاه أجابه . وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام : ياموسى كن لي كما أريد أكن لك كما تريد . وتأمل هذه الباء في قوله : في يسمع وبي يُبصر وبي يَبْطِش وبي يمشي كيف تجدها مبينةً لمعنى قوله : كنت سمعَه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به إلى آخره ، فإن سمع سمع بالله ، وإن أبصر أبصر به ، وإن بطش بطش به ، وإن مشى مشى به ، وهذا تحقيق قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُمْ مُّحْسِنُونَ ﴾ (سورة النحل : ١٢٨) .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **« إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض »** وفي لفظ لمسلم : **« إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال : إني أُحب فلانًا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ، قال ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلانًا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في السماء إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه ، ثم يوضع له البغضاء في الأرض »** .

وفي بيان طرف من الحكمة فيما يصيب المؤمنين من البلاء ، أو يظهر في الوجود من الشر والشقاء ، قال رحمه الله : « وهذا موضع يضيق عنه عدة أسفار واللبيب يدخل إليه من بابه ، وسر هذا الباب أنه سبحانه كامل في أسمائه وصفاته ، فله الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجهٍ ما ، وهو يحب أسماءه وصفاته ، ويحب ظهور آثارها في خلقه ، فإن ذلك من لوازم كماله ، فإنه سبحانه وتر يحب الوتر ، جميل يحب الجمال ، عليم يحب العلماء ، جواد يحب الأجواد ، قوي ، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف ، حي يحب أهل الحياء ، وفيٌّ يحب أهل الوفاء ، شكور يحب الشاكرين ، صادق يحب الصادقين ، محسن يحب المحسنين» .

فإذا كان يحب العفو والمغفرة والحلم والصفح والستر لم يكن بد من تقديره للأسباب التي تظهر آثار هذه الصفات فيها ، ويستدل بها عباده على كمال أسمائه وصفاته ، ويكون ذلك أدعى لهم إلى محبته وحمده وتمجيده والثناء عليه بما هو أهله ، فتحصل الغاية التي خلق لها الخلق ، وإن فاتت من بعضهم فذلك لفوات سبب كمالها وظهورها ، فتضمن ذلك الفوات المكروه له أمرًا هو أحب إليه من عدمه ، فتأمل هذا الموضع حق التأمل . وهذا ينكشف يوم القيامة

للخليقة بأجمعهم حين يجمعهم في صعيد واحد ، ويوصل إلى كل نفس ما ينبغي إيصاله إليها من الخير والشر ، واللذة والألم ، حتى مثقال الذرة ، ويوصل كل نفس إلى غايتها التي تشهد هي أنها أولى بها ، فحينئذ ينطق الكون بأجمعه بحمده تبارك وتعالى مقالاً وحالاً ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَتَرَى الْمَلَـٰئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ [١] ، فحذف فاعل القول لأنه غير معين ، بل كل أحد يحمده على ذلك الحكم الذي حكم فيه ، فيحمده أهل السموات وأهل الأرض ، والأبرار والفجار ، والإنس والجن حتى أهل النار . قال الحسن أو غيره : لقد دخلوا النار وإن حمده لفي قلوبهم ما وجدوا عليه سبيلاً ، وهذا والله أعلم هو السر الذي حذف لأجله الفاعل في قوله : ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ [٢] وقوله : ﴿ وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾ [٣] كأن الكون كله نطق بذلك وقاله لهم ، والله تعالى أعلم بالصواب .

الحب الزوجي

وقبل أن أشرع فيما يكون بين الزوجين من أمور يميل إليها كل منهما بما فطر الله عليه الذكر والأنثى ، رأيت من النافع إن شاء الله أن أنقل فقرات من خاتمة كتابي « خصائص الأنوثة » في بيان بعض معاني الحب ، فأقول والله الموفق :

• أولاً : حب الرجل للمرأة :

وأقصد بالحب هنا معنى قوله تعالى : **﴿ وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾** وهو ما يكون في الرجل والمرأة من ميل كل منهما للآخر بمقتضى الجبلة البشرية حتى سعيا بإذن الله إلى التلاقي وكان من تلاقيهما الذرية واستمرار

---

(١) الآية ٧٥ . سورة الزمر . (٢)الآية ٧٢ . سورة الزمر . (٣) الآية ١٠ . سورة التحريم .

النوع ، وكل ذلك جعله سبحانه ليكون ما أراد ولا يكون إلا ما يريد .

والحب بهذا المعنى .. إما أن يكون محمودًا أو مذمومًا .

أما المحمود فهو حب الزوجين كل منهما لصاحبه ، بحيث يكون ذلك الحب على ميزان الشرع ولا يطغى حتى يخرج صاحبه عن حدود الله وإلا صار مذمومًا ولبيان هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب العبودية :

« الرجل إذا تعلق قلبه بالمرأة ولوكان مباحة له يبقى قلبه أسيرًا لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها أو مالكها ولكنه في الحقيقة هو أسيرها ومملوكها ولاسيما إذا علمت بفقرة إليها وعشقه له ، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها فإنها حينئذ تتحكم فيه تحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور ، الذي لا يستطيع الخلاص منه بل أعظم فإن أمر القلب أعظم من استعباد البدن » .

• حرية القلب :

إلى أن قال رحمه الله :

« فالحرية حرية القلب ، والعبودية عبودية القلب ، كما أن الغنى غنى النفس » . قال النبي ﷺ : **« ليس الغنى عن كثرة العرض ، وإنما الغنى غنى النفس »** متفق عليه .

« وهذا لعمرو الله إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة يعني زوجته فأما من استعبد قلبه صورة محرمة امرأة أو صبي ، فهذا هو العذاب الذي لا يدانيه عذاب ، وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذابًا وأقلهم ثوابًا ، فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه معلقًا بها مستعبدًا لها ، اجتمع له من أنواع الشر والفساد مالا يحصيه إلا رب العباد ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى ، فدوام

تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة أشد حذرًا عليه ممن يفعل ذنبًا ثم يتوب منه ، ويزول أثره من قلبه ، وهؤلاء يشبهون السكارى والمجانين » كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سُكران

وقيل :

قالوا جُننتَ بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبُه وإنما يصرع المجنون في حين

ثم قال رحمه الله :

« وإن من أعظم أسباب هذا البلاء إعراض القلب عن الله » انتهى بنصه .

• النظرة مفتاح الشر :

قلت :

والرجل على قوته ضعيف أمام فتنة النساء ولا يملك لذلك دفعًا ، ومن هنا أمره سبحانه بغض البصر فإن النظرة الأولى مفتاح الشر ، قال سبحانه : **﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾** (النور : ٣٠) .

وقال رسول الله ﷺ : **« النظرة سهم من سهام إبليس المسمومة من تركها خوفًا من الله أبدله الله بها إيمانًا يجد حلاوته في قلبه »** رواه الحاكم وصحح إسناده .

وقد جاء في تفسير قوله تعالى : **﴿ وخلق الإنسان ضعيفًا ﴾ أي في** أمر النساء .

وقال رسول الله ﷺ : **« اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء »** رواه مسلم .

وقال : « **ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء** » . متفق عليه .

وقال : « **ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن** » ، يعني على الرغم من نقصاكن فإنكن تغلبن ذا العقل الراجح من الرجال ، وما ذلك إلا بما آتى الله الأنثى من خصائص الفتنة والسحر والجمال حتى لا ينجو من حبائلها إلا من رحمه ربك كما قال سبحانه : ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ (يوسف : ٣٤) . وقال سبحانه : ﴿ **كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ (يوسف : ٢٤) .

- **ثانيًا : حب المرأة للرجل :**

المرأة على ضعفها أقدر من الرجل على مقاومة الفتنة والإغراء بما آتاها الله من حياء فطري ، وما خصها به من برود نسبي وميل إلى التسامي في العاطفة إلى مستوى الحب والعاطفة والحنان ، فميل المرأة إلى إشباع رغبات الجسد أقل منه عند الرجل ، بل أقول : أن المرأة بطبيعتها تنفر أشد النفور من لقاء بينها وبين زوجها خال من العاطفة ومظاهر الود ، وربما يشبعها ويرضيها كلمة حب أو تقدير بينما يحزنها أن ترى زوجها يأتيها كما يأتي الحيوان أنثاه ولا شيء قبل ذلك ولا بعد .

وقد وردت في هذا الباب أحاديث مفيدة ذكرها الإمام الغزالي في كتاب النكاح في الإحياء ج ٢ وكذلك الإمام ابن القيِّم في كتاب « زاد المعاد » .

- **حقيقة غائبة :**

وهنا حقيقة غائبة ، وجب بيانها ، ومسألة دقيقة يتعين برهانها ، تلك هي أن الحب الحقيقي بين الرجل والمرأة إنما هو حب الزوج لزوجته وحب

الزوجة لزوجها ، إذا كانا على الحق الذي شرعه لها ربها ، وتلك حقيقة لا مراء فيها شهد لها الشرع ، وشهد لها الطب ، وشهد لها الواقع بالتجربة .

أما شهادة الشرع فقوله ﷺ لامرأة صحابية نُعَي إليها عدد من أقرب الناس إليها استشهدوا مع رسول الله ﷺ فصبرت وقالت إنا لله وإنا إليه راجعون . ثم نُعَي إليها زوجها فصرخت . فقال رسول الله ﷺ : « **إن زوج المرأة منها بمكان** » (السيرة لابن هشام) .

أما شهادة الطب فقد ثبت قريبًا ما نص عليه رسول الله ﷺ بوحي من الله حين قال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه ولد غيره** » رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح .

ويعني بذلك نكاح الحامل قبل أن تضع حملها ،فقد ثبت مضمون الحديث السابق وهو أن المرأة تمتص ماء الرجل وتغذي به جنينها وإذا كان ذلك كذلك فإن الزوجة تصبح عن قريب قطعة من زوجها ، وتبعًا لذلك فإنها تراه في نفسها وتجده في ذاتها ، وتحس به بين طياتها وكذلك الزوج فإنه يرى فيها ذاته ، ويجد حقيقته ، ويحس في روحها روحه ، وهذا هو السر في ازدياد الحب الزوجي توثقًا كلما تقدم الزوجان في العمر وطالت الحياة . إذ لو كان الرباط بينهما شباب الجسد وفتنة الشباب لانتهى كل شيء بقدوم الشيخوخة ، غير أن الأمر أعمق من ذلك وأكمل والحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه .

أما شهادة الواقع ، فإن واقع زوجين مسلمين يطيعان الله ورسوله في الأوامر والنواهي يشهد بما قلت ، ويثبت ما قررت ، ولو كره الفاجرون الذين يجعلون من العلاقة الآثمة بين العشاق أسمى علاقة ويسخرون من الزواج والزوجية والأزواج . ويتخذونهم مضرب الأمثال في التعاسة والأحزان وذهاب البهجة والسرور ، وحلول الملل والسآمة .

* * *

الاختيار

لا يماري عاقل في ضرورة التروي عند الإقبال على الزواج ، والاجتهاد في حسن الاختيار ، وهذا مجرد أخذ بالأسباب وإلا فإن التوفيق الإلهي للعباد هو أساس الوفاق والإستقرار في حياة الزوجين .

وخير ما تتصف به الفتاة لتكون زوجة صالحة بعد الإيمان بالله تعالى والتقى ، أن تكون لينة هينة ، لطيفة المعشر ، صبورة على مكاره الحياة ومشقاتها ، تستصحب الرغبة في العطاء دون طمع في الاستيفاء ، فإنها إن رزقت تلك الصفات ، فقد تمت عليها وعلى زوجها وأبنائها النعمة في الدنيا والآخرة ، وصح لها وصف الكمال المكمل لخصائص الأنوثة ، بفضل الله تعالى عليها .

وإذا تعذر تحقق تلك الصفات في الفتاة المختارة ، فلا أقل من اتصافها بالدين والخلق القويم ، فذلك كفيل إن شاء الله ـ ببناء البيت الصالح المستقر .

وتلك الصفات المرغوبة في المرأة هي بعينها ما ينبغي اتصاف الرجل به ، مع إضافة الحزم في رحمة ، والقوة مع الحكمة .

وقد جاء في الحديث ما يشير إلى تلك الصفات إجمالاً ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **« إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير »** رواه الترمذي .

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **« تنكح المرأة لمالها ، وجمالها ، وحسبها ، ودينها ، فعليك بذات الدين تربت يداك »** . قلت : والحديث لا يعني الزهد في الجمال والحسب ، وإنما ينفر من قصد ذلك فقط دون المبالاة بالدين والخلق ، وإلا فلو اجتمع في المرأة الدين

والجمال والحسب فذلك من تمام النعمة ، وقد كانت حواء عليها السلام من أجمل النساء ، وكذلك سارّة زوجة إبراهيم الخليل أم إسحق عليهم السلام . وعائشة بنت الصديق وأكثر زوجات رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا .

والمقصود إن الجمال مقصود بالدرجة الثانية ، وقد يكون الجمال في الباطن ثم يتجلى على الظاهر ، ومثل ذلك كثير ومشاهد ، وكذلك قد تكون المرأة على قدر كبير من الجمال الظاهر ، إلا أنها سيئة الخلق ، فهذه تنفِّر منها زوجها ومن حولها . وقد يكون جمالها لعنة عليها ، غير أن المحزن في بعضها أن يركع الرجل تحت قدمي زوجته الجميلة ، التي انتقاها لمجرد جمالها ، فأذلته به ، حتى أفقدته رجولته ، وأطاعها في معصية الله .

وأمثال أولئك النسوة هن اللاتي أرادهن الله تعالى بقوله :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ (التغابن : ١٤) .

وقد عقد الإمام ابن القيم فصلاً قيِّمًا بيَّن فيه نعمة الله على بعض عباده بجمال الظاهر والباطن فقال تحت عنوان :

فضيلة الجمال ، وميل النفوس إليه على كل حال

« اعلم أن الجمال ينقسم قسمين : ظاهر وباطن ، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته ، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة ، وهذا الجمال الباطن هو محّل نظر الله من عبده وموضع محبته ، كما في الحديث الصحيح : « **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » صحيح مسلم .

والجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال ، فتكسو صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتسب رُوحه من تلك الصفات ، فإن المؤمن يعطى مهابةً وحلاوةً بحسب إيمانه ، فمن رآه هابه ، ومن خالطه أحبه . وهذا أمر مشهود بالعيان ، فإنك ترى الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورة وإن كان أسود أو غير جميل ، ولاسيما من رزق حظًا من صلاة الليل فإنها تنّور الوجه وتحسّنه .

وقد كان بعض النساء تكثر صلاة الليل ، فقيل لها في ذلك ، فقالت : إنها تحسّن الوجه وأنا أحب أن يحسن وجهي . ومما يدل على أن الجمال الباطن أحسنُ من الظاهر أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه » . ثم قال رحمه الله :

وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** » قالوا : يارسول الله ، الرجل يحب أن تكون نعله حسنة وثوبه أفذلك من الكبر ؟ فقال : « **لا . إنّ الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق وغمط الناس** » فبطر الحق جحده ودفعه بعد معرفته ، وغمط الناس النظر إليهم بعين الازدراء والاحتقار .

« كما أن الجمال الباطن من أعظم نعم الله تعالى على عبده فالجمال الظاهر

نعمة منه أيضًا على عبده يوجب شكرًا ، فإن شكره بتقواه وصيانته ازداد جمالاً على جماله ، وإن استعمل جماله في معاصيه سبحانه قلبه له شيئًا ظاهرًا في الدنيا قبل الآخرة ، فتعود تلك المحاسن وحشة وقبحًا وشينًا ، وينفر عنه من رآه ، فكل من لم يتق الله عز وجل في حسنه وجماله انقلب قبحًا وشينًا يشينه بين الناس ، فحسن الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره ، وقبح الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره » .

« ولما كان الجمال من حيث هو محبوبًا للنفوس ، معظمًا في القلوب ، لم يبعث الله نبيًا إلا جميل الصورة ، حسن الوجه ، كريم الحسب ، حسن الصوت ، كذا قال على بن أبي طالب كرم الله وجهه » .

« وكان النبي ﷺ أجمل خلق الله ، وأحسنهم وجهًا كا قال البراء بن عازب رضي الله عنه وقد سئل : أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف ؟ قال : لا بل مثل القمر » رواه البخاري .

« وفي صفته ﷺ : كأن الشمس تجري في وجهه ، يقول واصفه : لم أر قبله ولا بعده مثله » . اهـ / روضة المحبين ص ٢٢١ .

الزواج صفة الكمال

قلت : قد يكون من الشائع عند كثير من الناس أن الرغبة في الزواج لقضاء الشهوة نقيصة بشرية ، والكامل من يزهد في ذلك الاستمتاع الجنسي .

والصحيح أن ذلك الظن من أسوأ الظنون ، ولا يدل إلا على جهل مطبق بأسرار النفس الإنسانية ، وما فطرها الله عليه من رغبات سوية ، هي في حقيقتها غذاء للنفس والروح والبدن ، وهي كذلك سبيل من سبل المعرفة بخفايا النفس وحقائق الكون ، ومن هنا كان قضاء الشهوة الحلال عبادة يتقرب بها العبد إلى الله ، وكان كذلك داعيًا إلى توثيق روابط المحبة بين الزوجين ، وهو أمر يحبه الله ، وهو مما منَّ الله به على عباده .

ولأن الزواج صفة كمال ، اختص الله بعض رسله بكثرة الزوجات ، ووهبهم القدرة عليهن مجتمعات ، ولقد ثبت في الصحيح أن سليمان عليه السلام كان له سبعون امرأة أتاهن في ليلة واحدة ، أما داود عليه السلام فرزقه الله تسعًا وتسعين زوجه ، أما نبينا ﷺ فجمع بين تسع نسوه وجاريتين هما : مارية القبطية ، وريحانه القرظية ، وكان يطوف على نسائه جميعًا كما ثبت في الصحيح .

لذلك كان من الجهل الواضح ظن طائفة من الناس أن الشهوة حيوانية ، والاستمتاع الحلال صفة بهيمية ، وحب الجمال واستباحته بالزواج نقيصة بشرية !!

وسأذكر هنا ما يؤكد سمو الرغبة بالنساء العقد الصحيح أو بملك اليمين ، والعجيب أن هؤلاء المستهزئين برغبة الأنبياء والصالحين السوية ، يستبيحون لأنفسهم الفجور بالنساء ، وفعل الفواحش دون حياء .

ولعل هذا هو المراد بقوله تعالى في هؤلاء الفسقة الفجرة في سورة النساء

(٢٧) ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ أي لا يصبر عن النساء ، كما ذكر الثوري عن ابن طاوس عن أبيه (وخلق الإنسان ضعيفًا) . قال : « إذا نظر إلى النساء لم يصبر » .

ومن الجهل كذلك ما تكلفه أكثر المحققين في الاعتذار عن كثرة نساء رسول الله ﷺ ليبرئوه بظنهم من تهمة الرغبة في النساء ، ومما قالوه أن زواجه إنما كان تأليفًا لقلوب بعضهم أو جبرًا لكسر بعضهن ، أو توددًا إلى بعض أصحابه .

ويدفع ذلك كله ويبطله ما جاء في الصحيحين من زواجه بجويرية بنت الحارث في غزوة بني المصطلق ، وزواجة من صفية بنت حي بن أخطب عقب غزوة خيبر ، وزواج كثير من أصحابه بأكثر من واحدة ، حتى لقد ندر منهم من اقتصر على واحدة

وقد أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت :

« لما أصاب رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عمّ له ، فكاتبت على نفسها ، وكانت امرأة جميلة حلوة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه على كتابتها . قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب الحجرة فكرهتها ، وعلمت أن رسول الله ﷺ يرى منها ما رأيت ، فقالت : يارسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء مالم يخف عليك ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له ، فجئت رسول الله ﷺ أستعينه . قال : **« فهل لك في غير ذلك ؟ »** قالت : وما هو ؟ قال : **« أقضي كتابتك وأتزوجك »** قالت : نعم يارسول الله قد فعلت . وخرج الخبرُ إلى الناس أن

رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ ، فأرسلوا ما بأيديهم . قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها »اهـ .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : خرج سهمي يوم جلولاء جارية كأن عنقها إبريق فضة ، فما ملكت نفسي أن قمت إليها فقبلتها .

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال : « قدم رسول الله ﷺ خيبر فلما فتح الله عليه الحِصن ، ذكر له جمال صفية بنت حي وقد قتل زوجها وكانت عروسًا ، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه ، فخرج بها حتى بلغا سد الروحاء فبنى بها ثم صنع حيسًا في نطع صغير ، ثم قال رسول الله ﷺ « **آذن من حولك** » فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ على صفية ، ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت رسول الله ﷺ يحوّى لها وراءه بعباءة ، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته فتضع فيه رجلها على ركبته حتى تركب » . وعند أبي داود في هذه القصة قال : وقع في سهم دحية جارية جميلة . فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤُس ، ثم دفعها إلى أم سليم تصنعها وتهيئها وتعتد في بيتها ، وهي صفية بن حي »اهـ .

ليلة الزفاف

قلت :

إذا تبين ما تقدم أيقنّا بسمو الرغبة في قضاء الشهوة بالزواج وأن ذلك من الكمال الذي آتاه الله من فطن لأسراره ورغب في الوصول إلى تحقيق آماله .

ومتى تحقق المراد ، وأنعم الله على من شاء بالزواج ، فإن الليلة الأولى تكون ليلة حرجة ـ غالبًا ـ لكليهما ، ومن البديهي أن تحس العروس بالخوف ، ويشعر الزوج كذلك بالرهبة ، غير أن إحساس الفتاة البكر بالخوف أشد وأظهر ، حتى لو كانت محبة لزوجها ومجترئة عليه في أيام خطبتها ، وذلك لأن غشاء البكارة يرمز إلى عفتها وطهارتها ، ويرمز كذلك إلى استقلالها وحريتها ، فإذا استطاع الزوج فض غشاء البكارة ، فذلك يعني أنه ملكها حين ولج فيها ، ولعملية الإيلاج الأولى التي يترتب عليها فض البكارة أثر نفسي عميق في قلب المرأة يسري في جميع كيانها .

وسر ذلك يتبين مما يلي :

أولاً : لا يخلو فض البكارة من ألم تحس به العروس بدنيًا ونفسيًا .. أما الألم البدني فظاهر لا يحتاج إلى بيان أو برهان ..

وأما الألم النفسي ، فمردّه إلى إحساسها بانقضاء عهد طفولتها ، ودخولها عهدًا جديدًا لا تعلم كنهه ، ومن ذلك دخولها في ملك رجل يبدأ حبها له بحق منذ اللحظة التي تمكن منها فيها وفض بكارتها .

ثانيًا : منذ اللحظة التي يتم فيها التزواج يمر على قلب الفتاة أحاسيس غريبة لا تستطيع أن تتبينها بجلاء ووضوح إلا بعد حين ومع مزيد من الاتحاد والامتزاج الروحي والبدني .

ثالثًا : يمثل الجماع ـ من قبيل الرمز ـ التقام الرضيع ثدي أمه ، ففي

الطفل ميل غريزي أصيل للارتضاع من أمه ، لأنه كان جزءًا منها وانفصل عنها ، غير أنه يظل مرتبطا بها ارتباطًا روحيًا وثيقًا ، ويعبر الطفل عن هذا الارتباط والتعلق برغبته الفطرية في التقام ثديها والارتضاع من لبنها .

وما بينته في شأن الطفل يتفق تمامًا مع رغبة كل أنثى في الذكر ، وميلها إلى الارتماء في أحضانه والاتحاد معه .

وسأوضح المسألة بما يلي :

أ) : انفصال حواء عن آدم بعد أن كانت قطعة منه يقابل في المثال انفصال الجنين عن أمه بالولادة بعد أن كان قطعة منها .

ب) : التقام الطفل ثدي أمه ، يقابله في المثال التقام المهبل لعضو الرجل ، وتحقيق الارتواء بذلك .

ج) : مص الرضيع ثدي أمه عمل غريزي فطري ، تدعوه إليه رغبته في زيادة الاحتكاك بأمه واستدرار حنانها وما يتبع ذلك من إدرار اللبن .

ويقابل ذلك في المثال مالايخفى مما يحدث أثناء الجماع من نشاط العضلات القابضة والماصة التي خلقها الله في المهبل ، والتي لها دور كبير في سرعة إدرار ماء الرجل ، غير أن متعة الطفل بالارتضاع روحية بحتة وكذلك أمه ، أما في حال الزوجين فإن الوصف يختلف ، ولا حاجة إلى مزيد من الإيضاح .

د) : ارتضاع الطفل من أمه يثير فيها مزيدًا من الحنان والرقة ، وينمي فيها مشاعر الأمومة السامية ، وهذه المشاعر تنشط عند الأم الغدة النخامية الموجودة في مقدمة الدماغ ، فتفرز حينئذ هرمون (برولاكتين) الذي يزيد من إدرار اللبن للرضيع .

ويقابل ذلك من مسألتنا إثارة الأنثى رغبة زوجها حال الجماع حتى تنتهي به إلى الإنزال .

هـ) : كما يرضع الطفل ثدي أمه فينمو بدنه وتهدأ نفسه وتسعد روحه ، كذلك تغتذي المرأة من ماء زوجها ، حين يتصه المهبل فيسري في دمائها وروحها ، وينتج عن ذلك ما أسمية بالحب الزوجي الفريد الذي لا يضاهيه حب .

فض البكارة

يقول د . « فان دي فيلد » في كتابه « الزواج المثالي » :

« في الليلة الأولى ، أنصح الزوج بعدم إثارة زوجته جنسيًا إلا إذا وقع ذلك تلقائيًا ، وذلك لأن فض البكارة سيحدث إلمًا يزيل كل أثر للرغبة الجنسية لدى المرأة »اهـ .

قلت : يجب أن يكون الهدف الأول للرجل في الليلة الأولى أن يفض غشاء البكارة وحسب ، لما لذلك من أهمية كبيرة في تحول نفسية المرأة وعبورها مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج والاكتمال الأنثوي ..

ومع هذا الحرص من الرجل على فض غشاء البكارة في الليلة الأولى ، إلا أنه ينبغي عليه أن يكون رقيقًا لطيفًا صبورًا ، وعليه كذلك أن يجتنب محاولة الدخول بالقوة كمن يحاول الاغتصاب ، وإذا وجد مقاومة عنيفة من عروسة ، فعليه أن يمهلها يومًا أو يومين ، وربما احتاج بعضهن إلى أسبوع ، وفي هذه الحالات المستعصية النادرة ، يستطيع الزوج أن يقضي حاجته من عروسه بالملاعبة دون إيلاج .

غير أن هذا النوع من العرائس اللاتي يصيبهن الفزع ليلة العرس قليل نادر ، والأغلب أن تكون الفتاة عارفة لما سيحدث وهي مع ذلك خائفة خوفًا طبيعيًا لا يسبب إزعاجًا لها ولا لزوجها في ليلتها الأولى .

ودون التزييت الصناعي أو الطبيعي تصبح عملية الجماع تعذيبًا وليس إمتاعًا ، لأن احتكاك الذكر بالمهبل الجاف يؤدي إلى آلام شديدة . والتهاب الأماكن الحساسة عند المرأة .

وفي حالة سبق الرجل زوجته في الإنزال ، عليه أن يبقى ذكره في فرجها ويستمر في مداعبتها حتى تنزل ، وإذا تعذر عليه إيصالها ذروة اللذة عن

طريق الجماع الطبيعي ، فيجب عليه أن يلجأ إلى إثارتها بلمس بظرها برفق بالإضافة إلى مص ثديها ، وهذا الازدواج يثير فيها مشاعر اللذة العنيفة التي لا تستطيع دفعها ، وبذلك يتحقق لها الإنزال السريع ، الذي يعد ضروريًا لها في كل مرة يجامعها فيها زوجها .

الملاعبة

القبلات لا تقتصر على الشفتين وحدهما ، وإن كان تقبيل الشفاه فن برأسه ، يستطيع من يتقنه أن يتذوق ألوانًا من اللذات الروحية والبدنية يقصر عنها الوصف ، ولا يستطيع التعبير عنها ولا بيان ..

فالقبلة رمز للمحبة ، وتعبير عن الألفة والمودة ، فإذا قبَّل الرجل زوجته ولو قبلة خفيفة سريعة فكأنه يقول لها : أحبك .

وتتأثر المرأة كثيرًا بجميع مظاهر الحب الصادرة عن زوجها لها حتى لو كانت تلك المظاهر نظرة حانية ، أو كلمة سامية ، أو قبلة هانية .

وللأسف فإن هذه الأمور العاطفية السهلة اليسيرة ، والتي لا تكلف الزوج شيئًا يبخل بها على زوجته ، ولا يمنحها لها إلا إذا اشتهاها وأراد جماعها ..

والمرأة بحسها المرهف ، تتألم حين لا تسمع من زوجها كلمات الحب إلا عندما يشتهيها ويريد مضاجعتها ، لأنها تحب أن ترى من زوجها مظاهر الحب والحنان والاهتمام في الأوقات العادية حين لا تدفعه الشهوة وحدها لإبداء حبه لها ..

أنواع القبلة :

القبلة ـ كما تقدم ـ رسول المحبة ، وهي من نعم الله على عباده ، لأنها توثق المحبة بينهم بأقل جهد ، بالإضافة إلى ما فيها من متعة .

والقبلة عدة أنواع ، أشهرها : قبلة الفم ، وفي قبلة الفم تغزّل الشعراء وكتبوا القصائد الطوال ، ومن ذلك ما قاله عمر بن أبي ربيعة حين لقي حبيبة :

فقبّلتُها تسعًا وتسعين قبلة وقبّلتُها أخرى وكنت على عجل ..

وقبلة الفم أيضا لها صور متعددة ..

فمنها مثلاً :

ملامسة الشفاه دون حركة ، والاكتفاء بما تعطيه الملامسة المجردة من متعة يغلب عليها الهناء الروحي ، وفي هذا النوع من قبلات الفم تنبعث اللذة أكثر ما تنبعث من ملاقاة الشفاه الغنية بالأعصاب الحساسة بمثيلتها من شفاه الجنس الآخر ، بالإضافة إلى ما تبعثه حرارة الأنفاس من متعة روحية هادئة ، وإذا كان الزوجان عاشقين فإنهما يجدان لذة عظيمة بهذا النوع الفريد من القبلات .

والنوع الثاني من قبلات الفم :

(تبادل مص الشفاه برفق مع العض الخفيف) .

وهذا النوع من القبلات يثير المشاعر الجنسية أكثر مما يثيرها النوع الأول ،لأن الغالب على النوع الأول الأحاسيس الروحية .

أما النوع الثالث : فهو النوع الثاني بعينه إلا أنه يزداد شدة وعنفًا بازدياد التهيج الجنسي .

النوع الرابع : (تبادل مص اللسان) وغالبًا لا يقع هذا النوع من التقبيل إلا بين زوجين عاشقين ، لأن الحب العظيم هو الذي يسوغ للمحب مص لسان محبوبته ، وقد ذكر الإمام ابن القيم في زاد المعاد أن رسول الله ﷺ كان يمص لسان عائشة رضي الله عنها .

تقبيل البدن

إذا تركنا مسألة تقبيل الفم جانبًا ، فإن هناك أنواعًا من القبلات تتناول أجزاء البدن المختلفة ، ويختلف تأثيرها المهيج باختلاف مكان القبلة ونوعها ..

وعمومًا .. فالجسم كله محل للتقبيل ، وليس هناك مانع شرعي أو طبي يحول دون تقبيل كل عضو من أعضاء الجسم حتى « الأعضاء التناسلية » .

ويلي الأعضاء التناسلية في شدة الحساسية وإثارة اللذة « النهدان » وعلى وجه الخصوص « الحلمتان » .

إن أي لمس رقيق للحلمتين يثير في المرأة أعنف أحاسيس اللذة ، خاصة إذا كان لمسها بالشفاه أو باللسان ، لأن اللمس بالأصابع قد يؤلم أكثر مما يمتع بسبب الجفاف ..

ويلي الأعضاء الجنسية ، والنهدين في شدة الحساسية ، « الأعضاء المحيطة بالفرج » كالفخدين والعانة ، والدبر (أي فتح الشرج) ولكن على الزوج أن يحْذر وضع ذكره على باب الدبر خوفًا من دخوله دون إرادته ، وهذا الفعل من الكبائر التي نهى عنها الله ورسوله ، وتوعد الفاعل بتابوت من نار يحبس فيه يوم القيامة ، فنعوذ بالله .

الجماع

للجماع أثر عظيم في تقوية روابط المحبة بين الزوجين وبصرف النظر عن كونه سببًا لحصول الحمل ، فإن له معنى أكبر من ذلك بكثير ، لأنه رمز لعودة الأنثى إلى الذكر الذي خلقت منه ، ففي الجماع إحساس عميق باللذة الروحية والبدنية ، مرجعها إلى الاتحاد التام بين الزوجين .

أما الجماع الناقص فهو إيلاج رأس الذكر فقط ، أو إيلاجه كله ولكن دون إنزال ..

وهذا النوع من الجماع محبوب ومطلوب أحيانًا وليس دائمًا لأنه لون من ألوان التغيير ، ووسيلة ـ أيضًا ـ للإثارة الجنسية المجردة عن الوصول إلى نهايتها ، فإن الإسراف في الجماع الكامل وتكرار الإنزال في كل مرة قد يؤدي إلى التخمة الجنسية ، والتشبع الممقوت ..

وإذا وقع الزوجان في شباك التشبع الجنسي تفقد حياتها بهجتها ، ويلقي الملل ظلاله الكئيبة على أيامها الجميلة ..

الوضع الطبيعي للجماع

للجماع عدة أوضاع ، وكلها جائزة شرعًا ولا كراهة في أي منها ، غير أن الوضع الأمثل الذي تحبة المرأة ، ويميل إليه الرجل ، هو الوضع الذي تستلقي فيه المرأة على ظهرها ، وتدع زوجها يعلوها ويحيطها بذراعية ، وهذا هو الوضع الطبيعي للجماع الذي تدعو إليه طبيعة الذكورة والأنوثة ..

أما الذكورة ، فإن الوضع المبيَّن ـ ويسمى « الافتراش » يُرضي رغبته في اعتلاء أنثاه وامتلاكها امتلاكًا تامًا حين يطؤها ويحيطها بذراعيه .

وهو يرمز كذلك إلى علو الرجل على المرأة في المكانة ، وهو المعبر عنه بالقوامة ، والمرأة السوية هي التي تستمتع بذلك الوضع لأنه يشبع رغبتها بالإحساس بالحماية ، وقوامة الرجل عليها ، وهذا من أسرار ما خلق الله عليه الزوجين : الذكر والأنثى .

وأفضلية وضع « الافتراش » لا تعني عدم اللجوء إلى أوضاع أخرى أحيانًا ، فكل وضع مباح سوى الإتيان في الدبر فذلك من الكبائر وقد بينت ذلك تفصيلاً في كتابي « بحوث وفتاوى شرعية (٢) » والحمد لله رب العالمين .

أثر الجماع في تآلف الزوجين

هناك بعض النساء ـ وهن نادرات ـ قد سيطرت عليهن « أشواق الروح

وتغلبت على شهوات الجسد ، وهؤلاء قد يجدن نفورًا من النشاط الجنسي في حياتهن الزوجية ، ويملن إلى المداعبات والملامسات الممزوجة بالرقة والحنان ، وهؤلاء إذا لم يجدن الزوج الذكي الحنون العطوف فقد يستمر معهن البرود الجنسي مدى الحياة ، ولكن إذا استطاع الزوج بحكمته أن يفهم نفسية زوجته ويوقظ أحاسيسها الجنسية باللطف ، والتدريج ، فإنه سيجدها ـ بإذن الله ـ قد أصبحت أكثر رغبة منه في الجماع .

وقد قلت إن النوع من النساء نادر وقليل لأن الأصل في المرأة والرجل كليهما أن يشتاقا إلى الوصال شوقًا فطريًا بمقتضى الفطرة والجبلة ..

ولبيان هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم في كتابه روضة المحبين ص ٧٩ ما نصه :

« المودة التي بين الزوجين والمحبة بعد الجماع أعظم من تلك التي كانت قبله .. والسبب الطبيعي أن شهوة القلب ممتزجة بلذة العين ، فإذا رأت العين اشتهى القلب ، فإذا باشر الجسم الجسم (يعني الجماع) اجتمعت شهوة القلب ولذة العين ، ولذة المباشرة (يعني الجماع) فإذا فارق هذه الحال (يعني انتهى الجماع) كان نزاع نفسه إليها أشد ، وشوقه إليها أعظم » اهـ .

قلت :

ويعني رحمه الله بعبارته الأخيرة أن الزوجة والزوج كليهما يشتاقان للعودة إلى الاتحاد والامتزاج بالجماع بعد كل مرة ينتهيان فيها منه ، لأنهما ذاقا في حالة الاتحاد أعظم الملاذ الروحية والبدنية .

ثم يبرهن ابن القيم رحمه الله على أن الزوجة السوية لا يرضها إلا أن يشبع زوجها رغبتها الفطرية في الاتحاد به ومعه حتى تبلغ وإياه درجة الارتواء ، فقال رحمه الله : رواية عن بعضهم :

تقول وقد قَبَّلْتُها ألف قُبْلَةٍ ... كفاك أما شيء لديك سوى القُبَلْ

وقال آخر :

رأت حُبّي سعادُ بلا جماعٍ فقالت حبلُنا حبلُ انقطاعِ
ولست أريد حبًّا ليس فيه متاعٌ منكَ يدخل في متاعي
فلو قبّلتني ألفًا وألفًا لما أرضيت إلاّ بالجماعِ

وقال ابن الرُّومي :

أُعانقُها والنفسُ بعدُ مَشوقَةٌ إليها وهل بعد العِنَاق تداني
وأَلْثَمُ فاها كي تزولَ صَبابتي فيشتدّ ما ألقى من الهَيمانَ
كأن فؤادي ليس يشفى غَليلَه سوى أن أرى الرُّوحين تمتزجان

ولا ريب أن النكاح التام الجامع لأركانه دواء كل صب عليل ، ويكون ذلك من الأمور الفطرية السوية التي لا تقاوم روى الطبراني في معجمه الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال :

يارسول الله عندنا يتيمه قد خطبها رجلان : مُوسِرٌ ومُعْسِرٌ ، وهي تهوى المُعْسِرَ ، ونحن نهوى المُوسِرَ ، : فقال : « **لَمْ يُرَ لِلْمُتَحَابِين مِثْلُ التَّزويجِ** » .

وقد سئل ابن القيم عن دواء الحب فقال شعرًا :

سألت فقيهَ عن علّة الهوى وقلتُ له أشكو إلى الشيخ حاليا
فقال دواء الحب أن تُلْصِقَ الحَشَا بأحشاء مَنْ تهوى إذا كنت خاليا
إذا كان هذا في حلالٍ فحبَّذا وصالٌ به الرحمنُ تلقاه راضيا
وإن كان هذا في حرامٍ فإنه عذابٌ به تلقى العنا والمكاويا

وفي مقابل ما تقدم هناك طائفة من الرجال والنساء يغلب عليهم سلطان الروح دون رغبات الجسد ، وقد تزوج أحدهم واحدة من أولئك ، فتمنعت

عليه فأرسل إليها بهذه الأبيات :

قـولا لعـاتكـة التي ... من نظرة قضت الـوطر
إني أريـدك للنكاح ... ولا أريـدك للنظر
لـو كان هـذا مطمعي ... لقنعت عنهـا بـالقمر

فقلت :

وبما تقدم يتبين أن كمال السعادة الزوجية بامتزاج الروح والبدن في الجماع ، لذلك كان من الواجب على الزوجين الحرص على تنوعه وتقديم الملاعبة عليه ، وجميع أنواع الملاعبة جائزة شرعًا كما قدمت ، ولا يحرم على الزوجين سوى الجماع وقت الحيض ، أو الإتيان في الدبر ، أما سائر المداعبات الجنسية فمباحة ولا حرج فيها بما في ذلك لمس الأعضاء الجنسية وتقبيلها ..

مثال من الواقع

حدثتني إحداهن بعد أن أمضت مع زوجها ـ الذي لم يدخل عليها عشرة أيام ، وكانت قد رحلت إليه لحاجة لا على قصد الإقامة والزواج ..

قالت محدثتي :

ولقد انزعجت كثيرًا حين تبين لي أنني لا استجيب لملامسات زوجي ومداعباته .

ولقد كان حريصًا على إبقاء عذرتي إلى يوم العرس ، وقد فعل ذلك مراعاة لشعوري وإرضاء لرغبتي ، وقد كان حنونًا عطوفًا مظهرًا حبه لي إلى درجة الإسراف ، ومع ذلك لم أستطع مجاراته في نشاطه الجنسي ومداعباته الكثيرة ، وقد فكرت في استشارة طبيب خشية أن أكون مصابة بالبرود الجنسي ، فما رأيك في حالتي هذه ؟!

قلت :

أنت لست مريضة ولاشاذة ، ولكنك ذات أشواق روحية عالية ، ولا يستطيع رجل أن يوقظ تلك الروح إلا إذا ملك قلبها قبل أن يمتلك جسدها ، وعقد الزواج يمنح الرجل حق الاستمتاع بالجسد ، أما الروح - وهي مركز الإحساس - فلا تتنازل عن كبريائها ، وتهبط من عليائها لتستمتع عن طريق الجسد إلا إذا أحبت زوجها حتى عشقته ، وهذا الحب العظيم يكتسب اكتسابًا مع دوام الجماع التام بين الزوجين ، لأن المني الذي يصبه الرجل في رحم زوجته يحمل مائتي مليون حيوانًا منويًا حيًا متحركًا ، وكون الحيوانات المنوية حية متحركة يعني أنها تحمل من روح قاذفها ، وقد ثبت اليوم أن الرحم والمهبل يمتصان أكثر المني المقذوف فيهما ، وهذا يعني أن المرأة تصبح عن قريب قطعة من بدن الرجل وروحه ، ويصبح تعلقها به وتعلقه بها قويًا راسخًا ، وهذا هو سر دوام المحبة بين الزوجين بعد بلوغهما سن الشيخوخة وانطفاء نار الشهوة .

ثم قلت :

وهذه هي الحقيقة الخالدة أيتها الفتاة ، وهذا لا يعني أنها تتحقق في كل زواج ، ويدوم الحب بين كل زوجين ، لأن العبرة بتوافق الأرواح ، وتناسب الأبدان وحسن العشرة بين الزوجين ..

أما إذا لم تتحقق هذه الشروط ، فإن النفور سيستمر بين الزوجين ، وقد ينتهي بالطلاق أو يدوم الزوج رغمًا عنهما من أجل الإبقاء على مصالح الأولاد ..

فلذلك أنصحك وأنصح كل عروس بتأخير الحمل عدة أشهر حتى يتبيّن للزوجين كليهما استعدادهما للوفاق والوئام ..

وأعرف مآسي وقعت نتيجة للتعجيل بالحمل ، ثم انتهى الزواج بالطلاق بعد الطفل الأول ، أو في فترة الحمل به ..

الضعف الجنسي

وعلاجه

الضعف الجنسي قد يكون حالة طبيعية في الرجل والمرأة على السواء ، ولا يعتبر مرضًا يحتاج إلى علاج إلا إذا بلغ الرجل درجة من الضعف تفقده القدرة على الانتصاب ..

أو إذا بلغ الضعف عند المرأة درجة يحرمها من التمتع بالجماع أو يمنعها من الإنزال ..

وفي حالة عدم القدرة على الانتصاب أي (العنَّة) يحتاج الرجل إلى استشارة الطبيب المختص لمعرفة سبب الداء ثم وصف الدواء ..

أما المرأة ، فإن علاجها يرجع بالدرجة الأولى إلى حكمة زوجها ومهارته في ملاعبتها وإثارة شهوتها ..

ومن أحسن ما يلجأ إليه الرجل للتغلب على الضعف الجنسي عند زوجته أن يتلطف في قضاء شهوته منها ، ويجتنب إكراهها على مضاجعته دون أن تكون متأهبة لذلك ، ويجب عليه أن يقدم الكلام والقبلة والملامسات الخفيفة، فإذا وجد استجابة من زوجتة لمداعباته ، يستطيع أن يعبر المرحلة الأولى وأسميها :

(مرحلة الإثارة العاطفية) إلى المرحلة الثانية ، وأسميها : (مرحلة الإثارة الجنسية) ثم المرحلة الثالثة وهي (الجماع) أما الرابعة فهي ما بعد الجماع ..

وتبدأ الإثارة الجنسية بتقبيل الشفاه وسائر الأماكن الحساسة وقد يساعدها على التأثر بملامسات زوجها أن تبادله تلك اللمسات ، وهذا قد يصعب على بعضهن ما لم يكن الحب رابطًا قويًا بينهما .

أما إذا كانت باردة جنسيًا ، فلا يفيدها إلا أن يلجأ إلى إثارة أعضائها

الجنسية إثارة باللمسات الرقيقة الحانية مع الرضاعة من الثدي في الوقت نفسه ، ولا بأس ـ كما قلت سابقًا ـ من تقبيل الأعضاء الجنسية تقبيلاً مباشرًا .

وهذه الوسيلة تفيد كثيرًا اللواتي اعتدن ممارسة « الاستمتاع الذاتي » أو « العادة السرية » .

وقد تكون هي الطريقة الوحيدة للبلوغ بالمرأة إلى ما يسمى « بذروة اللذة » والإنزال الذي يعقبه الشعور بالارتواء البدني والنفسي .

ويتعين على الرجل أن يساعد زوجته في الوصول بالجماع إلى نهايته أي « الإنـزال» والارتواء ، وقد لا يتمكن من ذلك إلا إذا لامس البظر ملامسة مباشرة ، ولكن رقيقة ، وإذا قصر الزوج في ذلك ، وترك زوجته وهي في أوج انفعالها ورغبتها ، فلها الحق شرعًا أن تلجأ إلى الاستمناء بيدها إذا علمت أن حرمانها سيؤذيها نفسيًا وبدنيًا .

سرعة القذف

« سرعة القذف » هم مقيم ، وداء أليم ، يشيع ظلال الخيبة والتعاسة على الزوجين كليهما ، وكم قوض من أسر ، وأحدث من ضرر ، وهذه الآثار المؤسفة لسرعة القذف ، تؤكد ما تقدم في هذا الكتاب من أهمية الجماع التام بين الزوجين ، وأثره في تقوية روابط المحبة بينهما .

ولسرعة القذف أسباب كثيرة ، منها :

حساسية عضو الذكورة حساسية بالغة .

ومنها : التهاب البروستاتا ، وهي مخزن السائل المنوى .

ومنها : اضطراب الأعصاب .

ولكل داء دواء ، فما خلق الله داء إلا خلق له دواء ، عرفه من عرفه . وجهله من جهله .

وابتداء .. لابد من استشارة طبيب مختص لتحديد سبب الداء ، ثم وصف الدواء .

وتفيد بعض ألوان العلاج في الشفاء من سرعة القذف لمن لم يتيسر لهم استشارة الطبيب المختص .

فإذا كان القذف السريع ناتجًا عن حساسية عضو الذكورة المفرط ، فعلاجه بالمراهم المخدرة يدلك بها رأس الذكر برفق ، وبعد خمس عشرة دقيقة يغسل العضو ثم يباشر زوجته .

أما إذا كان السبب التهاب البروستاتا ، فلا يجدي إلا مراجعة الطبيب المختص ، للعلاج بالكهرباء والتدليك والمضادات الحيوية بما يناسب الحالة .

وأعصى تلك الحالات على الشفاء حالة « الاضطراب العصبي » ولكن بالصبر والمثابرة أرجو أن يتحقق الشفاء بإذن الله .

ويفيد في تلك الحالة ـ والحالات الأخرى المذكورة ـ أن يأتي الرجل زوجته دون مقدمات ، لأن المداعبة تثيره وتعجل إنزاله ، وعليه أن يلجأ إلى التزييت الصناعي لتسهيل الإيلاج دون احتكاك الذكر بجدار المهبل ، لأن الاحتكاك يحدث القذف عند أولئك المصابين بسرعة القذف . فإذا تم الإيلاج على الصفة المبينة ، فليمسك عن الحركة حتى يشعر بالهدوء النفسي ويوصي زوجته بعدم الحركة كذلك ، إلى أن يرتوي كلاهما من مجرد الإيلاج الذي يشبع حاجة في النفس ، ثم إن شاء أنزل ، وإن شاء أخّر وأجل ، بحسب رغبة زوجته ، لأنها المقصودة بالإرضاء أولاً وأخيرًا .

مسائل تشتد الحاجة إليها

● يحل للزوجين التجرد عن ثيابها تجردًا تامًا ، وما جاء من النهي عن ذلك لا يصح ، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يغتسل وعائشة من إناء واحد في وقت واحد .

يستحب لمن أراد التعري أن يقول :

« بسم الله الذي لا إله إلا هو » ثلاث مرات ، فإنه بذلك يستتر عن أعين الجن إن شاء الله كما جاء في الحديث .

● يجب على الزوج ألا ينسحب بمجرد إنزاله ، فإن ذلك يؤذي نفس زوجته حين تظن أنه قد تركها بمجرد قضاء وطره منها ، ولعل رقة الزوج بعد الجماع أعظم أثرًا في نفس الزوجة من الجماع نفسه .

● لا يحل للزوج أن يدع زوجته تتلوى من ألم الحرمان إذا كان سريع القذف أو أنزل قبلها ، وعليه أن يستمر في مداعبتها حتى تنزل بيده ، ولا مانع شرعًا من تقبيل الأماكن الحساسة حتى تنزل .

● كما لا يحل أن يدع زوجته تعاني الحرمان ، لا يحل للزوجة كذلك أن تمنع نفسها من زوجها حال الحيض أو النفاس أو الإرهاق ، عليها أن تستجيب لمداعباته وهي في تلك الحالات وقد سئلت عائشة رضي الله عنها :

« ما يحل للرجل من امرأته وهي حائض » .

قالت : « كل شيء إلا الجماع » .

وقد يحتاج الرجل إلى مشاركتها له في المداعبة حتى ينزل ، وعليها ألا تبخل عليه بذلك ، وإلا نالت غضبه عليها ، وهي في غنى عن ذلك .

● يستحب للرجل والمرأة كليهما أن يقولا قبل الجماع :

« بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا » .

فإذا كتب الله لهما الولد حينئذ لم يقربه شيطان إن شاء الله كما جاء في الحديث .

• إذا رغب الرجل في معاودة الجماع فيستحب له أن يتوضأ أو يغسل العضو وكذلك يستحب للمرأة أن تفعل فعله ، فإن لم يتيسر ذلك فلا أقل من المسح بخرقة مبللة .

• تطهر المرأة من الحيض بالنقاء (جفاف المحل) أو بنزول السائل الأبيض ، فإذا اغتسلت ثم رأت صفرة أو كدرة فلا تبالي بذلك فإنها طاهرة .

• الطهر من الحيض أو الجنابة يتحقق بإفاضة الماء على جميع الجسد ، فلو غطس الجنب ـ مثلا ـ في ماء البحر أو نحوه فقد طهر دون حاجة إلى ذلك أو صابون ، ولا يجب على المرأة أن تفك ضفائرها بل تكتفي بصب الماء على رأسها حتى يصل جذور الشعر .

• الغسل يغني عن الوضوء ولو لم ينوه المغتسل ، لأن إزالة النجاسة الكبرى يستلزم زوال الصغرى بالتبع .

غير أن الوضوء قبل الغسل مستحب فن توضأ فنعم ما فعل ، ومن لم يتوضأ فلا شيء عليه ، ويكفي غسله عن الوضوء .

• من ضرورة دوام المحبة بين الزوجين ونمائها أن يداوم الزوجان ـ كلاهما ـ على المداعبة ولو بمجرد الكلام ، لأن اقتصار المداعبات على وقت الجماع أو الرغبة فيه يشعر المرأة بالمهانة ، لأنها تظن أن زوجها لا يرق لها إلا حين يرغب فيها ، وكذلك قد تكون المرأة جافة في معاملة زوجها ، غير أنها إذا رغبت فيه توددت وتزينت له ، وهذا ينفره منها من حيث أرادت إقباله عليها .

• للزوج في حال مرض زوجته أو قيام العذر بها أن يستمني بيدها وعليها أن تحقق رغبته ، لأن احتباس المني عند الرغبة ضار بالنفس والجسد ، ولها كذلك ذات الحق ، فإن تعذر ذلك لحياء المرأة الغالب ، وأخفت عن زوجها رغبتها في قضاء وطرها منه ، أو رغب هو في الإنزال ، وكانت زوجه مريضة أو مسافرة عنه أو مسافرة عنه ، فله حينئذ ولها كذلك اللجوء إلى الاستمناء دفعًا للضرر الأعلى بالضرر الأدنى .

وقد بينت جواز ذلك بالدليل القاطع في كتابي « فتاوى وبحوث شرعية » . جـ ١ .

• لا يحل إتيان المرأة من دبرها بحال من الأحوال ، وقد شاع بين الناس أن من أتى امرأته من الخلف تطلق منه على الفور ، وهذا غير صحيح لأن الطلاق لا يقع إلا بالتطليق .

وتحريم الإيلاج في الدبر لا يستلزم جواز الاستمتاع بالزوجة مقبلة ومدبرة وعلى جنب ، والله سبحانه حين حرم إتيان المرأة في موضع القذارة أباح للزوجين جميع صور الاستمتاع التي يستحبانها دون استثناء .

وقد بينت ذلك تفصيلاً في كتابي « فتاوى وبحوث شرعية ٢ » وسأذكر إن شاء الله عقب هذا نص ما جاء في فتاواي عن إباحة العادة السرية للحاجة ، ودليل تحريم « اللوطية الصغرى » وهي إتيان المرأة في دبرها .

• يجب الغسل على الزوجين بمجرد إيلاج رأس الذكر دون إنزال ، كما يجب على من أنزل منهما بمجرد المداعبة دون إيلاج .

العادة السرية

في ميزان الشريعة

فتوى الإباحة راجحة لقيام الضرورة الملجئة

• كثرت رسائل القراء من الجنسين كثرة بالغة يسألون عن الحكم الشرعي الصريح الواضح عن أمر عمت به البلوى ، وكثرت منه الشكوى ، ألا وهو اللجوء إلى الاستمناء باليد . للتخلص من طغيان الغريزة وضغطها على الأعصاب ، والنجاة بهذه الوسيلة من الوقوع في فاحشة الزنى أو اللواط والسحاق ، ونعوذ بالله من سوء الأخلاق .

وقد كنت اقتصر في إجابتي على بيان الحكم الذي يناسب حال المعذبين في نار الحضارة الزائفة . فأفتيت بالإباحة لقيام الضرورة الملجئة .

التشديد مجانب للحق والحكمة

واليوم أرى من الواجب علي تفصيل الإجمال وتوضيح الإبهام ، وذلك لأن عالمين فاضلين ممن يفتون الناس في الصحف أو التلفاز وشددوا في الحكم ، وأفتوا بالتحريم ، إلا عند خوف الوقوع في الزنى فأجازوا مع الكراهة .

فشق ذلك على الشباب لتصورهم أن الضرورة غير متحققة فكثرت رسائلهم ومكالماتهم الهاتفية يستوضحون المسألة ، ويلحون في البيان .

واستجابة لرجاء السائلين ، ودفعًا لحيرة المتحيرين ، أقول مستعينًا بالله تعالى :

الرغبة دليل الكمال

الغريزة الجنسية هي من أشهر ما سلط الله على الإنسان مطلقًا ، ولم يستثن سبحانه من ذلك رجلاً من الصالحين أو نبيًا من المرسلين ، بل جعل الكمال في كمالها ، والنقص في نقصانها .

وإلى هذا المعنى يشير قوله ﷺ :

[**حُبِّبَ إليَّ من دنياكم : الطِّيبُ ، والنساء**] (رواه الحاكم وصححه) .

وحين سأل عمرو بن العاص رسول الله ﷺ : « أيُّ الناس أحب إليك ؟ » قال :

[**عائشة**] (رواه مسلم) .

وصح عنه ﷺ أنه كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل أو النهار ، وهن إحدى عشرة .

قال قتادة :

قلت لأنس بن مالك (راوي الحديث) .

[أو كان يطيقه ؟] .

قال أنس .

[كنا نتحدث أنه أُعطي قوة ثلاثين] (رواه البخاري) .

وصح كذلك أن داود عليه السلام كان له تسع وتسعون زوجة ، ولابنه سليمان عليه السلام أكثر من ذلك ، وكان يقوى على إتيان سبعين منهن في ليلة واحدة كما جاء في البخاري .

فكل هذا يدل على أن القوة الجنسية صفة كمال . وليست صفة نقص ، وإلا لنزه الله عنها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

معاناة جيل الحضارة

فإذا تبين هذا ، أدركنا أي عذاب يعانيه جيل الحضارة المزيفة ، التي يسرت وسائل الفتنة والإغراء ، وضاعفت عوامل السقوط والابتلاء ، حين أصبح من المتعذر على الشباب المغتلم في سن البلوغ ، أن يتزوج ليستعف ويعف زوجته ، لأن الحضارة المزعومة ، والمفاهيم المنحرفة المتهومة ، قد زينت للشباب الارتواء من الحرام ، وعقّدت له الزواج الحلال ، فلم يستطيع أن يتزوج حتى يقارب الثلاثين ، وهو قبل ذلك إما عفيف معذب مسكين ، أو فاجر فاسق زان أثيم .

ورحم الله مصطفى صادق الرافعي حين شبه الشاب العزب بالقنبلة المتفجرة التي تقتل كل من حولها بشظاياها المتناثرة ، أو تصيبهم بنارها المستعرة .

فتاوى قاصرة

فإذا تبين هذا لكل ذي بصر وبصيرة ، فأعجب لفتاوى بعض علمائنا في هذا الزمن الأغبر ، بتحريم السبيل الوحيد الذي يعين شبابنا المؤمن المستعف على مقاومة الفتنة النسائية الجارفة ، ووسائل الإثارة الجنسية المسرفة ، وهذا السبيل هو اللجوء إلى الاستمناء باليد ، وهو ما يسمى (بالعادة السرية) فإذا استغاث الشاب المسلم المعذب بالعلماء ، عاجلوه بالتحريم الشديد ، وكأنه خلق من حديد .

والحق الذي أخفاه كثير من هؤلاء المفتين ، أن من حرم الاستمناء إنما حرمها لغير ضرورة . أما إذا خاف الضرر على نفسه من الكبت والحرمان ، أو خاف الوقوع في الحرام ، فيحل له ذلك بلا كراهة ، وبعضهم أوجبها ، بحيث لو تركها المضطر إليها يكون آثما .

وهذا في حق المحرمين .

أما من أباحها مطلقاً وبلا كراهة ، فحسبك منهم الإمام التقي الورع الزاهد العابد أحمد بن حنبل رحمه الله .

وقد جاء في كتاب (الحلال والحرام) للدكتور يوسف القرضاوي ص ١٦٦ ما نصه :

[وروي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه اعتبر المني فضلة من فضلات الجسم فجاز إخراجه كالفصد ، وهذا ما ذهب إليه وأيده ابن حزم ، وقيد فقهاء الحنابلة (يعني تلاميذ الإمام أحمد) قيدوا الجواز بأمرين :

الأول :

خشية الوقوع في الزنى

والثاني ، عدم استطاعة الزواج]أهـ

وقال الشيخ سيد سابق في فقه السنة جـ ٢ ص ٤٣٥ :

وأما الذين ذهبوا إلى التحريم في بعض الحالات ، والوجوب في بعضها الآخر فهم الأحناف ، فقد قالوا :

إنه يحرم إذا كان لاستجلاب الشهوة وإثارتها .

وقالوا :

إنه لا بأس به إذا غلبت الشهوة ، ولم يكن عنده زوجة أو أمة (جارية) واستمنى بقصد تسكين الشهوة .

ثم قال الشيخ سيد سابق :

[وأما الحنابلة فقالوا : إنه حرام إلا إذا استمنى خوفًا على نفسه من الزنى .. أو خوفًا على صحته ..] .

ثم لخص رأى ابن حزم فقال :

[وأما ابن حزم ، فيرى أن الاستمناء مكروه ولا إثم فيه]أهـ٢ / ٤٣٥ .

الصحابة والتابعون

أما من أباح الاستمناء من كبار أئمة التابعين المعاصرين لأصحاب رسول الله ﷺ فهم (كما ذكرهم ابن حزم في المحلى جـ ١١ ص ٣٩٣) قال :

[والإباحة المطلقة صحيحة عن الحسن البصري ، وعن عمرو بن دينار ، وعن زياد أبي العلاء ، وعن مجاهد (تلميذ ابن عباس) ورواه من رواه من هؤلاء عمن أدركوا] .

ثم قال رحمه الله :

[وهؤلاء من كبار التابعين الذين لا يكادون يروون إلا عن الصحابة رضي الله عنهم] .

ثم قال رحمه الله رواية عن مجاهد أنه قال :

[كان من مضى (يعني الصحابة) يأمرون شبابهم بالاستمناء ، يستعفون بذلك] .

قلت :

ومجاهد هذا أحد تلاميذ الإمام ابن عباس ، ومن كبار ثقاة التابعين .

الضرورة اليوم متحققة

فإن قلت بأن الأصل تحريم الاستمناء إلا عند الضرورة ؟

قلت :

بل أقول مع القائلين من أئمة السلف الأعلام كأحمد بن حنبل والحسن البصري ، ومجاهد ، وجابر بن زيد وغيرهم أقول كما قالوا وروي عنهم بالسند الصحيح :

[لا بأس بالاستمناء] .

وهذا عند عدم الزوجة ، والغسل حينئذ واجب ، بل أقول أكثر من ذلك :

لو أن العلماء المحرمين عند عدم الضرورة المبيحين له عند الضرورة ، لو أن هؤلاء عاصروا فتنة الجنس الحاضرة ، وشاهدوا وسائل الإعلام المتعددة الفاجرة ، لأقروا بسطوة الرغبة الوحشية الكاسرة ، ولأفتوا جميعًا بوجوب الاستمناء ـ لا عند الضرورة ولكن .. لقيام الضرورة وفرق واضح بين العبارتين ..

فقولنا :

الإباحة مقيدة بالضرورة .. يعني : أن ينتظر الشباب قبل إتيانها تحقق الضرورة ..

أما قولنا :

الإباحة اليوم مطلقة لقيام الضرورة ..

فهذا يعني أن السبب المبيح قد وقع وتحقق في حق جميع من ليس له

زوجة ومن ليس لهـازوج في هـذا الـزمن الـذي تمـوج فيـه الفتن كمـوج البحر الهائج .

من الآثم ؟!

وبعد :

فإذا كان هناك إثم على أحد من النـاس ، فـإنمـا هو واقع على أوليـاء أمور المسلمين ، حين تساهلوا في محاربـة الفتنـة والفسـاد ، وغضوا النظر عن الإعلام المنحرف ، الذي يزين الرذيلة ، ويدعوا إلى الاستهانة بمعاني الفضيلة .

وإثم آخر عظيم يقع على أوليـاء أمور الفتيـان والفتيـات ، حين يعـارضون رغبة أبنائهم في الزواج المبكر ، أو يعسرون زواج فتياتهم من الشباب المقبل ، ويشترطون شروطًا هي من وحي التقاليد البالية والأعراف الجاهلية المزريـة ، فهذا فقير ، وذلك ليس بالوسيم ، أما الثالث فرجعي ، والرابع نفعي .

وهكذا وهكذا ..

وحسبنا الله وكفى .

وسلام على عباده الذين اصطفى .

إن الله لا يستحيي من الحق

لا تأتوا النساء في أدبارهن

الحمد لله الذي شرح صدور كثير من عباده بالإيمان ، وأنعم عليهم بمزيد من الفضل والإحسان ، ومنَّ عليهم بالهداية ، والتوفيق والايقان ، وحبب إليهم التوبة ، فأقبلوا عليه بمحبة واطمئنان .

وبعد :

فإنه لا شيء يَسرُّ نفس الداعي إلى الله ، الحريص على بيان الطريق لعباد الله ، لا شيء يَسرُّ نفسه ، ويبهج روحه ، مثل أن يرى عبدًا قد عاد إلى الله ، بعد أن كان فارًا عن دينه وهداه ،ولا شيء يسعد قلب المؤمن بالله ، مثل أن يحس بأثر آيات الله ، في إصلاح قلوب عباد الله ، وتوبتهم إلى مولاهم الله ، بعد أن كانوا عصاة بغاة على شرع الله .

وإن ما يبشر بالخير العميم ، ويدعو إلى التفاؤل العظيم ، أن نجد مثل هذا الحرص والإقبال ، للتعرف على الحرام والحلال ، والرغبة في تفهم شرائع الإسلام ، بعد أن ترك الناس دينهم زمنًا طويلاً ، وجهلوا شرع ربهم ، واستباحوا حرمات دينهم ، فكان ما أصاب أمتنا المسلمة من التخلف والضياع ، نتيجة حتمية لتضييع ما أمرنا الله به ، وإتيان ما نهانا عنه .

وصدق الله العظيم : ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ الصَّلاةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلاَّ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَيُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (مريم : ٦٠) .

وأحب هنا أن أبين من المسائل ، ما كثرت فيها الرسائل ، رغم ما فيها من حرج لدى المسؤول والسائل ، إلا أنها لخطورتها ، لا يحل لي أن أكتم حقيقتها ، أو أخفي شناعتها .

وإن من تلك المشكلات المحزنات ، ما بلغني عن كثير من النساء المسلمات أن أزواجهن يأتونهن في أدبارهن ، وقد كنت أبين الحكم الشرعي في هذا العمل اللوطي ، في رسائل خاصة أرسلها لأصحابها من المستفتين أو المستفتيات ، إلا أن كثرة ما وصلني من رسائل في هذه المسألة ، دفعني أن أكتب هذا البيان بعد أن كان خافيًا ، وأسأل الله أن يجعله كافيًا وافيًا ، وللذين يخشون ربهم علاجًا شافيًا .

ولعل الجهل سبب الكثير مما يقع فيه الناس من الحرام ، فنحن ـ للأسف ـ نعاني من (أمية شرعية) على الرغم من مما نلناه من شهادات جامعية ، ومناهج التربية والتعليم في بلادنا ، قاصرة ـ حتى الآن ـ عن تكوين الإنسان المسلم ، الذي يحسن الجمع بين الدنيا والآخرة ، ويتقن العمل الذي يحييه في الدنيا حياة طيبة ، وينجيه في الآخرة من العقوبة المعطبة .

وهذه مسألة أخرى ليست محل كلامي في هذا المقال ، وأسأل الله أن يعينني على بيانها وتوضيحها في مقال تال . والله المستعان .

اللوطية الصغرى

وأعود إلى الحديث عن (اللوطية الصغرى) وهي إتيان المرأة في دبرها . فأقول مستعينًا بالله تعالى :

قد وردت الأحاديث الصحيحة الصريحة ، التي تنفر المسلم من هذا العمل الشاذ ، وتصرفه عن مجرد الفكر فيه ، والتطلع إليه .

ومن ذلك : ما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ملعون من أتى المرأة في دبرها** » وفي رواية للترمذي وأحمد :

[من أتى حائضًا ، أو امرأة في دبرها ، أو كاهنًا (أي عرافًا) فصدّقه ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ] وفي لفظ للبيهقي :

[من أتى شيئًا من الرجال ، أو النساء في الأدبار ، فقد كفر] وجاء في الترغيب والترهيب للمنذري ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله : **« إن الله لا يستحي من الحق ، لا تأتوا النساء في أدبارهن»** وسئل قتادة عن الذي أتى امرأته في دبرها ؟ فقال : حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله ﷺ **« تلك اللوطية الصغرى »** رواه الإمام أحمد .

قلت : أما الشبهة التي يستند إليها بعض الجهال ، فهي فهمهم الخاطىء لقوله تعالى : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ (البقرة : ٢٢٣) . فإنهم يفسرون قوله تعالى : ﴿ أني شئتم ﴾ بمعنى : (من أي مكان شئتم) وهذا باطل باتفاق أهل الحق من العلماء ، وخير من يبين مراد الله من كلامه هو رسوله ﷺ .

فقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

أنزلت هذه الآية ـ ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾ ـ في أناس من الأنصار ، سألوا رسول الله ﷺ عن إتيان نسائهم على أوضاع مختلفة ـ أي على جنب أو من الدبر ولكن في القبل ـ فقال رسول الله ﷺ : **« ائتها على كل حال إذا كان في الفرج »** .

وهذا يعني إباحة التمتع بالزوجة على أي وضع من الأوضاع مادام الإيلاج في الفرج ، وهو المراد من الآية كما بين رسول الله ﷺ .

ويؤكد هذا أيضا ما ورد من أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ جامع امرأته في قبلها من دبرها ، فسأل رسول الله ﷺ ، فلم يرد عليه شيئًا حتى

نزل الوحي بقوله تعالى : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم** ﴾ فقال رسول الله ﷺ : « **أقبل ، وأدبر ، واتق الحيضة والدبر** » رواه أحمد بسند حسن وفي سنن الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو امرأة في الدبر** » أي لا يرحمه .

عذاب الفاعل

قلت : ولشناعة هذا الفعل ، وشذوذه المنفر المُعِل ، لكونه يلاقي النجاسة حين يأتي ما لا يحل ، لهذا وغيره ، فإن الله قد توعد فاعله على لسان رسوله ﷺ وعيدًا شديدًا ، حين جازاه بجني عمله المنتن . فجعل رائحته يوم القيامة منتنة ، ثم يدخله في تابوت من نار ، ويشد عليه بمسامير من نار ، وهذا العذاب من جنس ما كان يفعله في الدنيا مما تنزه عنه الكلاب ، فإنه لما كان يولج ذكره في الدبر ، يحبسه في محل قذر ، عاقبه الله في الآخرة ، بحبسه في تابوت من نار الجحيم ، ثم أوثق عليه المسامير ، ونعوذ بالله الرحمٰن الرحيم من حال أهل أصحاب الجحيم .

ونص الحديث الذي أشرت إليه كما جاء في مسند الحارث بن أبي أسامة ، وذكره الإمام ابن القيم في زاد المعاد :

قال رسول الله ﷺ في آخر خطبة خطبها بالمدينة حتى لحق بالله عز وجل ، وعظنا فيها وقال :

« **من نكح امرأة في دبرها ، أو رجلاً أو صبيًا ، حشر يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة ، يتأذى به الناس ، حتى يدخل النار ، وأحبط الله أجره ، ولا يقبل منه صرفًا ولا عدلاً ، ويدخل في تابوت من نار ، ويشد عليه مسامير من نار** » .

قال أبو هريرة : « هذا لمن لم يتب » انتهى بنصه .

الآثارة الضارة

قلت : وهذا بالإضافة إلى ما يترتب على هذا الفعل الشنيع من آثار بدنية ونفسية ضـارة تصيب الزوجين معًا ، ولا تتسـع هـذه الصفحـات لـذكرهـا ، وحسبنا ما قدمنا .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . لقد جـاءت رسل ربنا بالحق .

من أسرار الأنوثة
لماذا لم يخلق الله علامة في الرجل تكشف للناس أنه عفيف ؟

كتبت إحداهن تقول :

أحلم بالإجابة على هذا السؤال :

لماذا لم يخلق الله علامة في الرجل ، تكشف للناس أنه رجل عاهر ، أو أنه سمح لنفسه أن يفرط بشرفه لامرأة ؟!

قلت : بالتجاوز عن تجاوز الكاتبة حدود الأدب في صياغة السؤال ، إلا أنني رأيت فيه أهمية دعتني إلى إجابته في هذا المقال ، فأقول والله المستعان :

لقد امتن الله علينا بأن خلق لنا من أنفسنا أزواجًا لنسكن إليها وجعل بيننا مودة ورحمة ، فقال تعالى : ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (الروم : ٢١) .

وفي ختامه سبحانه الآية بقوله :

﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ في هذه العبارة المعجزة تصريح بأن في خلق الأنثى من الذكر آيات كثيرة تدل على جلال الخالق وعظيم قدرته ، كما تدل على فضله ورحمته وبالغ حكمته .

ولكن ... ﴿ **لقوم يتفكرون** ﴾ .

فما في الخلق من حِكَم بالغة وأسرار ، لا يستطيع أن يكشف عنها الأستار ، إلا من أطال فيها التأمل والتفكر في الليل والنهار .

ومن جملة تلك الأسرار الإلهية العلية ، أنه سبحانه خص الأنثى وحدها بتلك الحصانة الخفية ، وجعلها برهانًا على الطهر والعذرية ، لأنها المؤتمنة وحدها على ما يحمل بطنها من الذرية ، وتلحقها لعنة الله إن خانت زوجها في فراش الزوجية ، وحملت من غيره ما تنسبه إليه بمقتضى الأحكام الشرعية .

أن الأنثى وعاء الحياة يابنتي ، ومن كال الوعاء الذي يحمل أطيب الثمرات أن يكون مبرءًا من كل عيب ، ومنزها عن كل ريب ، فكان من مقتضى هذا الكمال الأنثوي ، أن يُختم بخاتم رباني ، ليكون دليلاً على طهره وبراءته ، وبرهانًا على سمو مكانته وعفته .

وفي غشاء البكارة هدف عزيز ، وسر وجيز ، ففيه رمز وإشارة ، إلى أن الخاتم الذي جعله الله علامة للطهارة ، وحصن به الأنوثة حماية لها من التبذل والحقارة . هذا الخاتم الذي صنعه الله ، لا ينبغي أن يفض إلا بإذن الله ، ولا يستحل إلا بكلمة الله ، بالعقد على المرأة بما أمر الله . وجاء به شرعه وهداه.

وقد جاء في النصوص الشرعية ، ما يؤكد تلك الحقيقة الجليلة ، ومن ذلك . قوله ﷺ في حجة الوداع .

« فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله » (رواه مسلم) .

وقد جاء في الحديث الصحيح قصة الثلاثة الذين أغلق عليهم الغار ، فتقربوا إلى الله بذكر صالح أعمالهم ، فكان مما دعا به أحدهم ، أنه أحب ابنة عم له ، فامتنعت عليه ، فلما كان عام مجاعة ، جاءته تطلب رزقًا ، فاشترط عليها أن تسلمه نفسها فرضيت ، حتى إذا كاد أن يتمكن منها قالت : **(اتق الله ، ولا تفض الخاتم إلا بحقه)** .

أي : بعقد النكاح .

فقال الرجل :

« فتركتها وأنا أرغب ما أكون فيها . اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك خوفًا منك ، وابتغاء رضوانك ، اللهم ففرج عنا ما نحن فيه » .

ولما انتهى الثلاثة من دعائهم ، أزاح الله الصخرة عن فم الغار ، ونجوا بفضل قبول الله لصالح أعمالهم .

فإن قلت :

هل يعني هذا أن مسؤولية الرجل دون مسؤولية المرأة في باب الزنى ؟

أقول :

حاشا وكلا ، فإن الشارع الحكيم قد سوى في العقوبة بين الرجل والمرأة في الجريمة ، فقال سبحانه في مطلع سورة النور :

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النور : ٢) .

وقال تعالى :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة : ٣٨) .

وكذلك جعل الله عقوبة الرجم حدًا لمن سبق له الزواج من الرجال أو النساء على السواء .

فلا محاباة في حد من حدود الله للرجل على حساب المرأة والكل عند الله سواء .

وهذا التساوي في العقوبات المذكورة إنما هو في الدنيا ، أما في الآخرة ، فالأمر كله لله ، والحساب بحساب البواعث والنيات ، وما يتبع ذلك من آثار سيئات ، أو حسنات ماحيات ، أو مصائب مكفرات ، أو توبة لله تردع صاحبها عن الزلات .

بهذا المقياس ، نستطيع أن نتبين سر اختصاص الأنثى بخاتم العفة الرباني ، وذلك لأنها ما خُلقت إلا لتكون لواحد ، ولا تصلح البتة أن تكون لأكثر من واحد ، إلا أن تنفصم عقدتها ، وتنقضي عدتها .

وهذا بخلاف الرجل ، فإنه خلق صالحًا لأكثر من واحدة في الوقت الواحد ، وجُبل على الرغبة في ذلك حتى لو لم يحقق رغبته ، وفي هذا حماية للجنس الضعيف من الضياع في أزمان الحروب والفتن ، كما حدث في ألمانيا الغربية ، بعد الحرب العالمية ، ورأينا النساء هناك يطالبن بإباحة تعدد الزوجات ، اختيارًا منهن لأخف المصيبات .

وقد جاء في الحديث الصحيح أن من علامات الساعة المؤذنة بقرب قيامها ، كثرة النساء ، وقلة الرجال ، حتى يحيط بالرجل الواحد أربعون امرأة يلذن به (أي : يحتمين به) .

ولما كان هذا حال كل من الرجل والمرأة في الطبيعة والجبلة ، كان من الحكمة الإلهية أن يجعل فيمن خلقت لواحد ، علامة تكون لعفتها شاهدًا ، فتحرص أكثر من الرجل على اجتناب كل خؤون فاسد .

وإن الله سبحانه حين قيد المرأة بهذا القيد ، فإنه قد جعله زينة لها ووقاية من سهولة الصيد ، وهذا بالإضافة إلى ما حباها به من نعمة الخفر والحياء ، الذي يجعلها تترفع عن فعل ما يأتي به السفهاء ، فمن لم يستح ، فليفعل ما شاء ، فليس له من رادع بعد أن فقد الحياء .

وإن أخبث ما تفتقت عنه أفكار شياطين الحضارة المسمومة ، أنها نزعت من النساء فضيلة الحياء ، حين صورته نوعًا من الغباء ، وقد استعان الأبالسة بوسائل الإعلام الواسعة الانتشار ، لزرع بذور الفساد في نفوس الأطهار الأخيار ، ومانراه من تفشي سم الحضارة القاتل ، وغلبة السلوك المنحدر السافل ، كل ذلك من ثمار تلك الأساليب الشيطانية ، التي تبنتها وروجت لها ـ للأسف ـ كثيرًا من النساء ، يتسابقن إلى إظهار مفاتن أنوثتهن ، ويتباهين بافتتان الرجال بهن .

واعلمي يابنيتي المستنكرة تميز الرجال عن النساء ، بخلوهم عن علامة تفضحهم عند اللقاء ، اعلمي أن هذا لا يعني أن الله يحب أن يستر على الرجال وحدهم . ويكشف ستر النساء لهم ، تعالى الله أرحم الراحمين ، عن ظن المستنكرين الجاهلين ، بل الحق أن الله قد وهب المرأة ثلاثة حصون منيعة ، عليها أن تتنازل عنها إن أتت جريمة الزنى الشنيعة ..

أما الحصن الأول :

فحياء الأنوثة الفطري الجميل .

وأما الحصن الثاني :

فخدر أحاسيسها الجنسية مادامت عذراء نقية .

وأما الحصن الثالث :

فهو غشاء البكارة الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا لا ينفك بروح الأنثى وعاطفتها السامية ، ورغبتها الأصيلة في ألا يمتلكها إلا رجل واحد تطمئن إلى كنفه ، وتسكن إلى حمايته وعطفة .

فإن تجاوزت الأنثى تلك السدود ، وعبرت هاتيـك الحـدود ، فلا أراهـا إلا قد أساءت حين تمردت وحطمت القيود .

وبعد هذا ..

فإن ربك يابنيتي حليم عفو ساتر ..

فآمني بحكمته ..

واستسلمي لعزته ..

واستمسكي بشرعته ..

فلعله ـ بكرمه ـ أن يمن علينا بواسع رحمته ..

ويدخلنا وإياك عالي جنته .

من لطائفُ المعارفِ

الشفاعة للمحبين .. من سنن الصالحين

• ما أكثر ما تردني رسائل ومكالمات يشكو امتناع الآباء عن تزويج بناتهم لمن قد تبين حبهم لهن ، وكثيرًا ما يكون المانع عرفًا جائرًا ، أو تقليدًا بائرًا ، وهذا في شرعنا مذموم ، وبطلانه عند العقلاء معلوم ..

وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال : « **لم نر للمتحابين مثل التزويج** » .

وصح أيضًا عن كثير من العلماء والفضلاء أنهم شفعوا في تزويج المتحابين ، بل لقد ثبت ذلك عن الخلفاء الراشدين رضي الله عليهم .

أبو بكر الصديق يشفع لمتحابين

ومن ذلك ما نقله الإمام ابن القيم عن الخرائطي قال :

« مرّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته بطريق من طرق المدينة ، فإذا جارية تطحن برحاها وهي تقول :

وهويته من قبل قطع تمائمي ... متمايسًا مثل القضيب الناعم
وكأن نور البدر سنة وجهه ... ينمي ويصعد في ذؤابة هاشم

فقال لها الصديق رضي الله عنه :

أحرة أنت أم مملوكة ؟

قالت :

بل مملوكة ياخليفة رسول الله ﷺ .

قال : فمن هويت ؟

قالت وهي تبكي : بحق الله .. إلا انصرفت عني ..

قال : لا أريم حتى تعلميني بمن أحببت ..

قالت :

(وأنــا التي لعب الغرام بقلبهــا   فبكت لحب محمــد بن القــاسم)

ومحمد بن القاسم هذا هو حفيد جعفر الطيار ابن عم النبي ﷺ ..

فتوجه الخليفة إلى المسجد وأرسل إلى سيدها فاشتراها منه ، وبعث بها إلى حبيبها محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم ..

ثم قال الصديق كلمة صدق جرت حكمة بديعة على مر العصور :

قال : « **هؤلاء فتن الرجال ، وكم قد مات بهن من كريم ، وعطب عليهن من سليم** » .

شفاعة عثمان بن عفان :

ويذكر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه جاءته جارية تستعدي على رجل من الأنصار ، فقال لها عثمان : ما قصتك ؟

قالت : ياأمير المؤمنين ، كلفت بابن أخيه (تعني : عشقته) فما أنفك أراعيه ..

فقال له عثمان :

إما أن تهبها لابن أخيك ، أو أعطيك ثمنها من مالي ..

فقال الأنصاري : أشهدك ياأمير المؤمنين أنها له .

والإمام علي كرم الله وجهه :

وأتى الإمام علي كرم الله وجهه بغلام من العرب وجد في دار المهلب بن رباح ليلاً فقال له الإمام علي : ما قصتك ؟

فقال : لست بسارق ولكني أقول الصدق :

ثم أنشد شعرًا دل على حبه لجارية يملكها المهلب بن رباح صاحب الدار قال فيه :

تعلقت في دار الرباحي خودة — يذل لها من حسنها الشمس والبدر
لها في بنات الروم حسن ومنصب — إذا افتخرت بالحسن صدقها الفخر

فلما سمع الإمام علي شعره رق له وقال للمهلب :

اسمح بها ، ونعوضك عنها ..

قال المهلب : خذها فهي لك ..

* * *

وقال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله : سمع المهلب فتى يتغنى بشعر في جارية له ، فقال لها المهلب :

لعمري إني للمحبين راحم — وإني بستر العاشقين حقيق
سأجمع منكم شمل ود مبدد — وإني بما قد ترجوان خليق

ثم وهبها له ومعها خمسة آلاف دينار ..

فأين نحن اليوم من سنة الأولين في جمع شمل المحبين في الحلال ، ووقايتهم من الوقوع في الحرام !!

والحمد لله وكفى

وسلام على عباده الذين اصطفى

هذا الكتـاب

بين المدح والقدح

تلقى النـاس كتـابي هـذا بين مـادح وقـادح ، فمنهم من عـدَّه من خير ما كتب في المسألة ، ومنهم من ذمَّه واتهم كاتبه بما أرجو أن يبرئـه الله منـه ، ويثيبه عليه .

وقـد أجبت عن تلـك الانتقـادات بمقـالين نشرتها في مجلـة اليقظــة ، وسيجدهما القارىء عقيب هذا التعقيب إن شاء الله تعالى .

وقـد سـألني بعض المخلصين عن الـدليـل الـذي استنـدت إليـه في إبـاحــة الاستمتـاع بـالزوجـة بجميـع الصـور مـا عـدا الإيـلاج في الـدبر والجماع حـال الحيض .

والحق أن معرفـة الـدليـل حـق لكل مسلم يريـد الاستيثـاق لـدينـه ، وفي مسألتنا الدليل فيها عدم الدليل على خلافها ، فلم يرد مـا يـدل على تحريم أي لون من ألوان الاستمتـاع بين الزوجين ، وكـذلـك لا نجـد نصـا صريحـا يعلمنـا أنواع الملاعبة ، فذلك لا يليق بمقـام البنوة ، وإنما يـدرك الفقيـه القـادر على الاستنباط مـا سكت عنـه الرسول ﷺ ، لأن القـاعـدة أن الأصل في الأشيـاء الإبـاحـة ، ومـالم يرد نص في تحريمـه أو كراهتـه فهـو مبـاح عمـلاً بـالقـاعـدة المـذكورة ، وهـذا مـع عـدم ورود النص المبيـح مطلقـا ، فكيف إذا علمنـا أن رسول الله ﷺ قـد أجـاز مـا أنكره بعض الجهـال بطريق الإشـارة ، فلنتـأمل قوله ﷺ في بيان المراد من قوله تعالى :

﴿ ويسـألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النسـاء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ﴾ (البقرة : ٢٢) .

قال : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح » .

والمراد بالنكاح « **الإيلاج في الفرج** » ويفهم من هذا جواز جميع صور الاستمتاع بالزوجة دون استثناء شيء سوى الدبر .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما كما في سنن أبي داود « كان هذا الحيُّ من قريش يشرحون النساء شرحًا منكرًا ، ويتلذّذون بهن مقبلات ، ومدبرات ، ومستلقيات ، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار ، فذهب يصنع بها ذلك ، فأنكرته عليه ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فأنزل الله عز وجل :

﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ (البقرة : ٢٢٣) .

أي : « **مقبلات ومدبرات ومستلقيات** » يعني بذلك موضع الولد ، يوضحه قوله ﷺ :

« **أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة** » (رواه الترمذي) .

قلت : فهذه الأحاديث الواردة في تفسير الآيات دالة دلالة واضحة على نفي الإثم والحرج عن كل زوجين يرغبان في تنويع وسائل الاستمتاع بالتراضي بينهما ، وأعجب بعد هذا ممن يحرم ما أحل الله دون سند من كتاب ولا سنة .

ورب قائل يقول :

قد سلمنا بجواز ذلك ، ولكن لا نجيز التصريح به لمنافاته الأدب !!

ولهؤلاء أقول :

قولكم « لا نجيز التصريح به » حكم ليس لكم ، وإنما الشرع هو الحاكم ، فأين دليلكم على جواز كتمان ما أحل الله ؟!

وأما قولكم « لمنافاته الأدب » فمردود بما صح من الأحاديث التي بين فيها رسول الله ﷺ مسائل هي ميزان المتنطعين مما تنافي الأدب ، وقد بينت

طرفًا من ذلك في الصفحات التالية .

ومن النقـــاد من تعرف فيهم الإخـلاص والرغبـــة في النصـح بحسب اجتهادهم ، بينما تبدوا رائحة التحـامل والتجني من آخرين ، فجزي الله كل فريق بحسب نيته ، وما أبرئ نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء إلا مـا رحم ربي .

وسأذكر فيما يلي ردّي على ما وجه إلي من نقـد ، وأرجو المزيـد من النقـد الذي يريد به صاحبه وجه الله ، والمستعان الله .

نقـد بعضهم كتـابي الأخير « مبـاهج الزواج في ضيـاء الإسلام » لمـا اشتمل عليه من بيان لأسرار الحياة الزوجية وخفاياها ، عده الناقدون خارجًا عن حد اللياقة !!
والعجيب أن أولئـك النفر يعلمون أن كافـة النـاس يتحـدثون بتلـك الأمـور ويكتبون فيخطئون ويصيبون ، وقد يضرون فوق ما ينفعون .

ويعلم أولئك يقينًا حاجة شبابنا إلى معرفة خفايا الحيـاة الزوجيـة ، لما في الجهل بها من أثر سيء على الأسرة في مسيرتها .

وإنني من حيث أنني أتلقى رسائل الناس ومكالماتهم الهاتفية والشخصيـة طـالبين الفتوى والمشوره ، أدركت أن الجهل بحقـائق الزواج ودقـائقـه سبب أسـاسي للتفكك الأسري ومعـانـاة المشكـلات النـاتجة عن سـوء الفهم وعـدم النضج العاطفي .

لقد كنت أنشر القليل مما أعرف من مشكلات ، وأجيب كذلك بحذر شديد لأن الصحيفـة تقـع في يـد الصغـار الـذين لا يعـون مـا يقرءون فلمـا اشتـد الطلب ، رأيت لزامًا علي أن أجيب الطالب ، واكشف أسرار ذلك الجانب .

وإذا لم يتول كتاب المسلمين ذوو العلم والمعرفة بخفايا النفس البشريـة في ضياء الإسلام ، بحل تلك الإشكالات ، وكشف مستور الخفيات ، وإزالة ظلمة الجهـل عن عيـون الفتيـان والفتيـات ، فسـوف يتـولى ذلـك سـواهم ممن

لا يجعلون الإسلام ضياءهم ، ولا يخافون ربهم من فوقهم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (آخر الشعراء) .

ولأعد إلى مسألتنا فإنها ملحة ، ويتعين علي فيها إبراء الذمة ، وإثبات أن ما جئت به في كتابي لم يخرج عما حده لنا الشرع الحنيف ، وحسبي هنا أن أذكر حديثا واحدًا صريحًا صحيحًا رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها ، وقبل ذكره أحب أن أبين أن الجماع بين الزوجين لا ينبغي أن يصل في كل مرة إلى نهايته (أي الإنزال) لأن هذا قد يؤدي إلى التخمة الجنسية كما بينت في كتابي ، لاسيا عند الشباب حديثي العهد بالزواج ، ومما يقوي روابط المودة بين الزوجين أن تظل رغبة أحدهما بالآخر قائمة عند حد لا يبلغ درجة التوتر ، بل حد الاعتدال ، وهذا القدر من الرغبة لا يتحقق إلا إذا ضبط الزوجان تفريغ الشهوة بميزان الحكمة والتعقل ، ومن ذلك ، أن يأتي الزوج امرأته (أحيانًا) دون أن ينزل ، والإسهاب في البيان لا يليق بهذا المكان ومحله كتابي « مباهج الزواج » .

وهنا يتعين علي أن أصفع المتباكين على الحياء (المعدوم) في كتابي (بزعمهم) وأسوق الحديث الصحيح الذي أشرت إليه وفيه دلالة قاطعة على أن صريح البيان يوجب التصريح دون التلميح ، وقد يكون في التصريح مبالغة يأباها الناقدون لي . فليتجرءوا ـ إذن ـ وينقدوا المشرع بإذن ربه ، رسول الله ﷺ ، وهيهات ذلك لهم ..

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

« أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل ، هل عليهما الغسل ؟ » .

فقال رسول الله ﷺ : « إني لأفعل ذلك أنا وهذه (يعني عائشة) ثم نغتسل » (اهـ / صحيح مسلم بشرح النووي ٤ / ٤٣) .

قلت : « والإكسال » يعني « الجماع دون إنزال »

والشاهد في الحديث قوله ﷺ مشيرًا إلى زوجته عائشة : « إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل » وهذا منه ﷺ حث على الاقتداء به ، وإلا لقال في الجواب « نعم .. يجب الغسل » .

وفيه كذلك جواز التصريح بما يستحي منه للمصلحة ، إذ لا يخفي ما في قوله ﷺ بحضور عائشة مع الإشارة إليها من حرج ، غير أن المصلحة اقتضت تجاوز ذلك كله .. فليفهم العقلاء إن كانوا يعقلون !! والحمد لله رب العالمين .

قال سعود السمكة ذامًا كتابي « مباهج الزواج في ضياء الإسلام » ما نصه :

هذا الكتاب هو في الواقع نموذج من نماذج الكتب الهابطة التي غزت مكتباتنا في السنوات الأخيرة . ففي فصوله كلها لا يجد مؤلفه شيئًا يتحدث فيه غير الجنس بطريقة ليست عديمة الفائدة فحسب بل إنها تسيء للأخلاق والقيم الإسلامية التي تتعالى عن طرق مثل هذه المواضيع . صحيفة القبس ١٥ رمضان ١٤١٠ هـ .

قلت : هذا الكتاب الذي عده السمكة من الكتب الهابطة التي تسيء إلى الأخلاق والقيم الإسلامية .. قد تلقته جهات الاختصاص وأهل العلم بالقبول والترحيب ، وشكروا لي إقدامي على الجهر بتلك المسائل الدقيقة مع علمي بما سوف ألقاه من قصار النظر من تثريب !!

إنني لن أخاصم ذلك المتجني عند أحد من الخلق ، وإنما أرجو أن يأخذ بحقي خالق الخلق .

يستنكر الكاتب (الغيور) أن يُزج بالإسلام في مسائل الجنس ، وإنني أكتفي بأن أحيله على كتاب « روضة المحبين » للإمام ابن القيم الذي استقيت منه الأشعار (الهابطة) وزينت بها كتابي ..

كما أحيله على تفسير الطبري (٢ / ٢٦٣) وفيه روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بيتًا من الشعر يشتمل على لفظة هي صريح ما يكنى

عنه بالجماع (فليفهم السمكة .. وليتطاول على ابن عباس إن شاء)

بل أقول أكثر من ذلك ، لقد نطق رسول الله ﷺ بصريح لفظ الجماع دون كناية ، وذلك في سياق إقرار ماعز بالزنى ، وهذا منه ﷺ تشريع نأخذ منه جواز التصريح بما لا يصرح به عادة إلا من أجل التعليم (انظر الحديث المشار إليه في فتح الباري ١٢ / ١٣٥ المطبعة السلفية) ثم يقول سعود السمكة :

« ونحن نستغرب كيف أُجيز هذا الكتاب من قبل وزارة الإعلام ؟ » .

قلت : لعل الرجل أكثر فهمًا وغيرة وحرصًا على أخلاق الشباب من المختصين في اللجان الفنية لمراقبة المطبوعات في وزارة الأوقاف والإعلام في الكويت !!

وأحب أن أُبشر أخانا الغيور أن الكتاب قد أجازته الجهات الرسمية المسؤولة في المملكة العربية السعودية المعروفة بتشددها في نقد الكتب ، والحمد لله رب العالمين .

كما أحب أن أبشره بأن الكتاب قد طلب من جهات لها وزنها في عالم الفكر والأدب ، وأقبل الأطباء على قراءته والانتفاع به ، ولا أحسبهم أرادوا - فقط - الاستمتاع بالقراءة !! يلومني سعود السمكة لأنني تركت الكتابة فيما يهم المسلمين ، ثم لم أجد إلا « مباهج الزواج » موضوعًا للكتابة .

وهذا يدعوني إلى اتهام السمكة بالتحامل والمغالطة ، لأنه اطلع على غلاف كتابي المذكور ، وعرف أن لي أربعة وعشرين كتابا تناولت فيها ما نحن أحوج إليه من ألوان العلم الشرعية والاقتصادية والنفسية ، وكان عليه أن ينصف أو يتصل بي هاتفيًا طالبًا سائر مؤلفاتي ثم ينقد نقد الناقد البصير ، إن كان بالنقد بصيرًا أو كالبصير .

أما قوله إنني استشهدت بالآيات في غير موضعها ، فكنت أود لو ذكر آية واحدة فقط تشهد له بالصدق حتى لا نتهمه بالتجني .

وبعد :

فقد كنت أود أن ينشر ردي هذا في الموضع الذي نشر فيه الذم من صحيفة القبس الكويتية ، ولست أدري ما الذي دعا رئيس التحرير إلى عدم النشر ، إذ من حق المفترى عليه أن يمنح رد الفرية ..

ولكن .. لكل نبأ مستقر ..

تعقيبات .. وتساؤلات

وصلتني أسئلة كثيرة تتصل ببعض ما جاء في كتابي هذا ، وقد أجبت عن بعضها في مجلة اليقظة ، وآثرت الإجابة عن الباقي في هذا الكتاب ، والله الموفق .

• جاء في ص ٢٦ في سياق ما يجري ليلة الزفاف ما نصه :

« في حالة سبق الرجل زوجته في الإنزال ، عليه أن يبقى ذكره في فرجها ، ويستمر في مداعبتها حتى تنزل » .

والسؤال : كيف يمكن تحقيق ما تقدم وقد تم فض البكارة ، ولا يخفى ما في ذلك من ألم قد يستمر عدة أيام عقيب الليلة الأولى ، وقد لا تستطيع العروس مشاركة زوجها في الاستمتاع إلا بعد أو شهر أو أكثر .

الجواب

ـ نصح الرجل بعدم الانسحاب عقيب الإنزال لا يختص بليلة الزفاف ، وإنما هو عام في كل مرة يسبق فيها الزوج زوجته في قضاء الشهوة ، وهذا يحدث في أكثر الحالات ، ثم لا يبالي الرجل برغبة زوجته التي أثارها وتركها تحترق بنارها .

ولعل أكثر حالات النشوز والعناد من قبل الزوجه ترجع إلى حرمانها من حقها في الاستمتاع والارتواء ، ولكن أكثر الأزواج لا يعلمون .

التقبيل أمر فطري

• جاء في ص٢٨ تفضيل لأنواع القبلة ومواضعها والمعلوم أن التقبيل أمر فطري لا يحتاج إلى تعليم ، فما الذي دعاك إلى ذلك البيان الذي لا أثر له سوى الإثارة ؟!

الجـواب

ـ ليس كل ما تدعو إليه الفطرة يصدر عن الإنسان بصورة صحيحة ، وأقرب دليل على ذلك ما في فطرة كل ذكر وأنثى من الرغبة في الاتصال والاتحاد ، ومع هذا لا غنى لها عن التعليم والتعريف بسبل ذلك الاتصال على وجهه السليم الخالي من الأخطاء والشذوذ ، وأنواع الملاعبة والتقبيل كذلك تنطوي على فنون وأسرار يجهلها أكثر الناس ، وبذلك يحرمون من فيض من الملذات أباحها الله لهم وجعل فيها توثيق ألفتهم ومحبتهم .

حب النساء

قال بعضهم : جاء في ص٢٠ ما يشير إلى رغبة رسول الله ﷺ في الحلائل من النساء ، وقد يفهم البعض من ذلك ما لا يليق بمقام رسول الله ﷺ !!

قلت : الرغبة في الحلائل من النساء رغبة سوية ، بل هي صفة كمال كما بينت في كتابي (الفتاوى جـ ١) وأكثر الناس ـ لجهلهم ـ يحسبون أن التنزه عن الاستمتاع بالنساء أولى بذوي المقامات العالية ، ويدحض تلك الجهالة ما خص الله به جماعة من رسله بعدد كبير من النساء والجواري ، كداود وسليمان عليهما السلام ، وحسبنا قوله ﷺ : « حُبِّب إليَّ من دنياكم : الطيب ، والنساء ، وجعلت قرة عيني في الصلاة » (رواه النسائي بسند جيد) .

وسيرته ﷺ مع نسائه تؤكد تلك الحقيقة التي غابت عن كثير من المحققين .

تعقيب على إباحة الاستمناء

تحدثت في ص٤٤ عن حكم الاستمناء ، وانتهيت إلى إباحته للضرورة الملجئة التى لا يماري فيها عاقل في زماننا هذا ، وقد بعث إليّ أحد الإخوة رسالة ذكر فيها مضارٌ العادة السرية بشهادة جماعة من الأطباء المختصين ورغب إليّ ذكر تلك المضار قبل الفتوى بالإباحة ، وتقييدها بالضرورة وعلى الندرة .

وإنني أقدر للأستاذ « رعد » غيرته الدينية وحرصه على صحة أبدان شبابنا ، إلا أنني لا أسلّم بالضرر المزعوم مادامت الممارسة في حدود الحاجة دون افتعال أو استحضار شهوة ، ولو كان في الاستمناء ضرر واضح لنص رصول الله ﷺ على تحريمه قطعًا ، إذ لا يحل له السكوت عن البيان . وهو يعلم أن البلاء به عام ، وجميع ما نسب إلى رسول الله ﷺ من الأحاديث المحرمة للاستمناء هي من وضع الكذابين وليس لها سند صحيح .

والحق أن الضرر يصيب البدن والعقل معًا عند الإسراف في المباحات مطلقًا ، كالطعام والشراب والجماع ، وليس الضرر وقفًا على الإسراف في الاستمناء وحده ، بل أقول : إن الضرر متيقّن للنفس والبدن عند معاناة العنت في مجالات الفتنة الطاغية التي تحيط بفتياننا وفتياتنا دون هوادة .

وسأذكر هنا نص رسالة كتبتها إحداهن وأجبتها في فتاوى اليقظة ، وهذا نصها كما جاءت في العدد (١١٧٨) .

قالت : أنها في العشرين من عمرها ، تحرص على مرضاة ربها وترجو رحمته وتخشى عذابه ، وهي فتاة عاملة ، والفتنة من حولها شاملة ، ولو أرادت الحرام لتيسر لها بأيسر سبيل ، لذلك هي مضطرة إلى ممارسة العادة السرية حتى يأتيها من يعفها عن الحرام بالحلال . فهل تأثم بذلك ؟ وهل يجب عليها الغسل عقيبها ؟ وهل يضر ذلك غشاء البكارة ؟

الجواب

قلت :

أولاً : الاصل أن الله قد وهب الفتاة رغبة كامنة غير ظاهرة وأعانها على المحافظة على عفتها ببرود أحاسيسها الجنسية مادامت بكرًا ، رحمةً بها لضعفها ، وليجنبها سبحانه معاناة عذاب الحرمان .

ثانيًا : إذا تبين ما تقدم فإن ما جاء في رسالة الفتاة المذكورة من شدة الرغبة التي تدعوها إلى ممارسة العادة السرية يعد خلافًا للأصل الذي فطر الله عليه النساء ، وسبب ذلك ما ابتليت به نساء هذا الزمان من تبرج واختلاط ومشاهدات وقراءات ومسموعات خليعة ، فغدت بنات هذا الجيل عذارى الأبدان غير عذارى الأرواح والأفهام !!

ولهذا اشتكت تلك الفتاة من ثورة الرغبة في دمها حتى لم تعد تطيق الصبر فاضطرت إلى إرضاء نفسها بنفسها كما تفعل العفيفة حين تخير بين أمرين لا ثالث لهما إلا الزواج .

ثالثًا : إذا عمت الفتن ، وساد الفساد ، وغوى أكثر العباد ، أصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر ، وأجازت الضرورات بعض المحظورات ، وأفتينا بأهون الضررين خوف الوقوع في الأكبر ، ولهذا لا أجد حرجًا على تلك الفتاة فيما فعلته فرارًا من الفاحشة حتى يرزقها الله الزوج الصالح المصلح ، ولا ضرر يلحقها من ذلك إن شاء الله ، والغسل واجب عقيب ذلك ، واتخاذ أسباب الوقاية أوجب ، لأن الترفع عن الشهوات هو الأصل ، مالم يكن هناك ضرورة ملحة »اهـ .

وقد وصلتني رسائل كثيرة تعقيبًا على ما تقدم ، وقد اخترت واحدة من تلك الرسائل بعث بها إليّ أخ فاضل يدرس في بريطانيا ، قال فيها :

« قرأت في فتاوى العدد (١١٧٨) أن هناك فتاة تستعمل العادة السرية خشية الوقوع في الزنى ، وقد أجزت لها ذلك ، وقد أفتى الشيخ علي الطنطاوي بمثل تلك الفتوى .

• فهل يسري ذلك الحكم على الشباب الذي يخشى الوقوع في الحرام كحالنا نحن الطلبة في البلاد الأجنبية ؟

• وإذا كان الجواب بالإيجاب ، فما قولك في قوله ﷺ :

١ ـ « ناكح يده كناكح أمه » .

٢ : « ناكح يده ملعون ملعون ملعون » .

• لقد نفيت ترتب الضرر على الفتاة التي تمارس العادة السرية ، مع أنها قد تفقدها بكارتها .

الجواب

قلت :

أولاً : ستجد الجواب ـ إن شاء الله ـ مفصلاً في كتابي « مباهج الزواج » .

ثانيًا : الشيخ علي الطنطاوي من أفاضل العلماء المحيطين علما بمشكلات العصر ، لذلك أفتى بجواز العادة السرية بالضرر الأدنى .

ثالثًا : جميع الأحاديث الواردة في تحريم العادة السرية (ومنها ما جاء في رسالتك) ليس لها سند صحيح . وإنما هي مفتراة من وضع الكذابين .

رابعًا : تمزق غشاء البكارة لا يحدث إلا إذا استعملت البنت أداة صلبة ، فلتحذر .

خامسًا : الوقاية خير من العلاج ، وعلى الفتيان والفتيات جميعا أن يحرصوا على اجتناب المثيرات (وما أكثرها في وسائل الإعلام للأسف) .

سادسًا : مما يعين الشباب على العفة وترك تلك العادة أو الإقلال منها ممارسة الألعاب الرياضة ، والقراءة النافعة ، والصحبة الصالحة ، ودوام الذكر والاستغفار والصوم ، وقد شكا إلي كثير من الشباب عدم جدوى تلك الوسائل عند غلبة الشبق وإحاطة وسائل الإغراء والإغواء ، وهذا صحيح ، ولهذا أفتيت مع من أفتى من أفاضل العلماء بإباحة الاستمناء في هذا الزمان مطلقا لقيام الضرورة الملجئة وقد ذكرت الأدلة الوافية في كتابي (الفتاوي ١) والحمد لله على ما وفق .

خاتمة ورجاء

إنني اشكر كل من أسهم في نقد كتابي هذا مخلصًا من قلبه ، ولست أطمع في قبول الكافة لآرائي كافة ، ولا أذكر واحدًا في القديم والحديث سلم من المعارض ، والله هو الحكم العدل ، فنسأله الهدى والتقى والعفاف والغنى .

وإنني لا أزال أرجو من جميع الإخوة والأخوات مزيدًا من النقد والتصويب ، مع استصحاب حسن النية حتى لا يحرموا « الأجر من الله تعالى » .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس الموضوعات

كتب للمؤلف محمد سلامة جبر

١ ـ أحوال الآخرة وأهوالها
٢ ـ أشراط الساعة وأسرارها
٣ ـ الإنسان بين الجبر والاختيار
٤ ـ إلام ندعو وكيف ؟
٥ ـ تحضير الأرواح ... خرافة صراح
٦ ـ خصائص الأنوثة
٧ ـ عجائب الرؤى والأحلام
٨ ـ سلسلة فتاوى وبحوث شرعية جـ ١ ، جـ ٢ ، جـ ٣ ، جـ ٤
٩ ـ القضاء والقدر
١٠ ـ لوعة الحرمان
١١ ـ لا يرد القضاء إلا الدعاء
١٢ ـ مباهج الزواج
١٣ ـ المذهب الحق في القضاء والقدر
١٤ ـ هل هن ناقصات عقل ودين ؟